جامعـة عمــار ثليجي الأغـــواط

كليــة العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

دور علماء المغاربة في نشر المذهب المالكي من خلال العصر المملوكي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي.

إعداد الطالب:

- شعرانة لخضر.

إشراف الدكتور:

- شارف خالد.

لجنة المناقشة:

الدكتور: .....**جعيرن معمر**..... **رئيسا.**

الدكتور: .....**شارف خالد**..... **مشرفا.**

الدكتور: .....**رمضاني فوزي**..... **عضوا مناقشا.**

السنة الجامعية: 2020/2019.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

{رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}

صدق الله العظيم

سورة البقرة: الآية 286.

الإهداء

قال تعالى : " رب أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن اعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين« .

فالحمد الله عز وجل على منه وعونه لإتمام هذا البحث المتواضع،بداية من شيخاي الحاج المسعود رميلات وأبي الروحي الشيخ البشير رميلات الحسني رضي الله عنهما . إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له أماله لي من كان يدفعني قدما نحو الأمل لنيل المبتغى إلى الذي سهر على تعليمي بتضحيات جسم مترجمة في تقديسه للعلم، إلى أبي الغالي الحاج الميهوب على قلبي الشريف أطال الله في عمره.

إلى التي كانت سندي في الحياة و التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء و الحنان و تتبعني خطوة خطوة في عملي ، أمي الحاجة فاطمة غزال اعز ملاك على القلب و العين جزاها الله خير الجزاء،إلى إخوتي المرحوم عبدالمالك ،الإمام عبدالقادر ،الدكتورالتجاني،لعلمي، أحمد،نورالدين،حرز الله،أختاه تركية.الزوجة الكريمة وابنتاي فهيمة وبشرى.

وإلى كل أصدقائي وأحبتي في الله.وإلى أساتذتي الكرام.

التشكرات

أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير – بعد شكري لله عز وجل وحمده- للدكتور "شَارِفْ خَالِدْ"، الذي رافقني بتوجيهاته طيلة المدة التي استغرقتها لإتمام هاته الدراسة.

كما أتوجه بالشكر إلى كل الأساتذة الذين أعانوني وشجعوني أثناء مشواري الدراسي.

كما لا يفوتني في هذا المقام، أن أوجه عبارات الشكر والتقدير إلى الأساتذة المناقشين الذين قبلوا بمناقشة الدراسة المتواضعة هذه.

مقدمة

يعد المذهب المالكي من أهم المذاهب الفقهية التي عرفها المسلمين عبر تاريخهم الإسلامي العريق، والباحث في مضانه بحاجة للغوص عميقا في العديد من أمهات المصادر التاريخية ، لتتبع مساره وانتشاره في مختلف الأقطار الإسلامية ، وفي هذه الدراسة حدد الباحث الإطار الزمني الموضوع بحثه المعنون ب: "دور علماء المغاربة في نشر المذهب المالكي في المشرق خلال فترة المماليك البحرية"، وقد تطلب الأمر أن يستخدم الباحث في دراسته هذه المنهج الوصفي التحليلي المقارن للبحث في انتشار المذهب المالكي في المغرب، ولتحقيق الهدف المنشود قسم الباحث موضوعه إلى ثلاثة مباحث رئيسة وخاتمه، واشتمل المبحث الأول على تمهيد تحدث فيه الباحث عن تعرف بلاد المشرق، والإطار الجغرافي للبلاد، وتناول المبحث الثاني صورة عن المذهب المالكي وأسباب انتشاره ودوافع توجه العلماء للمشرق ، ، وخصص المبحث الثالث لدراسة أهم فقهاء وعلماء المغاربة في المذهب المالكي في المغرب واهم المراكز العلمية ، وجهود علماء المغاربة في توسيع المذهب.

وفي الختام لخص أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث، وقائمة بأهم المصادر والمراجع المستخدمة.

الإشكالية العامة:

لمعالجة هذا موضوع علماء المغاربة قمنا بطرح الاشكالية التالية: ما مدى صدد وتأثير العلماء في توسيع المذهب؟ وكيف تجلت مظاهره؟

الاشكالية الفرعية:

- ماهي بلاد المشرق وبلاد المغرب؟
- كيف ظهر المذهب المالكي في بلاد المغرب؟
- ماهي الوسائل والمراكز المساعدة لانتشار الفكر؟
- ما مدى تأثيره في المنطقة؟
- ماهي نتائج الاجتهاد؟

دوافع اختيار الموضوع:

يرجع اختياري لهذا الموضوع إلى مجموعة من الأسباب أذكر منها:

- نظرا لأهمية الموضوع وقيمته التاريخية منذ نشأته إلى يومنا هذا ومكانة العلماء وبلاد المشرق.
- بحكم أننا مالكية ومغاربة وجب علينا معرفة حذافير منهجنا ودراسته على أكمل وجه.

- رغبتي وحبي للمذهب المالكي لاسيما أنه إحدى المراجع الدينية في وطننا الشريف.

خطة الموضوع:

للإجابة على هاته التساؤلات أدرجنا خطة منهجية قمنا بتقسيمها إلى مقدمة وخاتمة يتخللها فصل تمهيدي وفصلين.

أما الفصل التمهيدي قمت بتعريف بلاد المشرق والمشرق الاسلامي وإقليمه بالإضافة إلى تعريف بلاد المغرب مع أصل السكان والرقعة الجغرافية له مع ذكر الطبيعة البشرية.

أما فيما يخص الفصل الأول والموسوم بعنوان المذهب المالكي وانتشاره في بلاد المغرب، فقمنا بتقسيم هذا الأخير إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول تحدثت فيه عن التعريق بالمذهب وشخصية الامام مالك ونسبه وصفاته وأصوله.

المبحث الثاني تحدثت فيه عن أسباب انتشار المذهب المالكي.

المبحث الثالث تحدثت فيه عن دوافع توجه علماء المغاربة إلى المشرق.

أما الفصل الثاني فجاء تحت عنوان دور علماء المغاربة في نشر المذهب المالكي، كما تم تقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تطرقت فيه عن أهم علماء وفقهاء المذهب.

المبحث الثاني: تطرقت فيه إلى أهم المراكز العلمية التي نشط بها العلماء.

المبحث الثالث: حول جهود علماء المغاربة.

المنهج المتبع:

نظرا لطابع الموضوع الذي يعالج عمل ودور علماء المغاربة في نشر المذهب المالكي في بلاد المشرق حق لنا تتبع النهج السردي لسرد الوقائع والأحداث التاريخية تدريجيا.

أهمية الدراسة:

أهمية الموضوع تتجلى في معرفة تضحيات مشائخ المالكية والهدف منها تأكيد أصول السنية واتباع الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم مع معرفة الدليل والبرهان للمسائل.

الصعوبات والمشاكل:

إن صعوبة هذا الموضوع تكمن بأنه موضوع شيق وكبير لاسيما أنك تتحدث عن قطب من أقطاب الزمن ألا وهو الإمام مالك رضي الله عنه وارضاه لهذا السبب رأيت أني مقصرا في حقه مهما تكلمت، كما أن شح بعض المعلومات في بعض الجوانب جعلت الأمور أكثر صعوبة، لكن ولله الحمد لم تقف أمامنا في بذل جهدنا لإنجاز عملي المتواضع بفضل المولى عز وجل.

الفصل التمهيدي

بلاد المشرق وبلاد المغرب

المبحث الأول : بلاد المشرق

المبحث الثاني: بلاد المغرب

لقد شهد المذهب المالكي انتشارا كبيرا حول المعمورة من شرق البلاد إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها وشهدت كل منطقة ميزات عن الأخرى من دوافع محفزة ومن خيبات مثبطة كما رأت كل منطقة اجتهاد علماء وفقهاء نذكر منها بلاد المشرق أو المشرق الاسلامي من مصر والشام والحجاز والعراق وغيرها التي شهدت دورا كبيرا لعلماء المغاربة رغم ما واجهوه من صعوبات ورغم ذلك أدو واجتهدوا في تبليغ الرسالة على أكمل وجه ومنها أيضا بلاد المغرب أيضا شهدت نموا وازدهارا لهذا لمذهب مالك بن أنس إلى أبعد نقطة منها.

من هاته الأخيرة عملوا الغالي والنفيس لتكريس المنهج وغرسه بين أبناء هاته المنطقة وتنفسوا الصعداء بعدها.

المبحث الأول: بلاد المشرق.

المطلب الأول: بلاد المشرق الإسلامي.

قبل تناول النشاط الاقتصادي في بلاد المشرق الإسلامي لابد من تقديم تعريف المصطلح الشرق أو المشرق في اللغة أو الاصطلاح، مع الإشارة إلى موقع هذه البلاد من وجهة نظر (ابن حوقل) على وجه الخصوص: الشرق.

أ-المشرق في اللغة:

الشرق (بسكون الراء)، في اللغة: مصطلح جغرافي، يراد به المكان أو الجهة التي تشرق فيها الشمس، والشرق المشرق (بكسر الراء في الأكثر وبالفتح)، والمشرق موضع شروق الشمس، وهو قياسي لكنه قليل الاستعمال ولكنه نادر من هذا القبيل، وجمعه إشراق، ويقال طلعت الشرق ولا يقال ربت الشرق، وفي النسبة مشرقي بكسر الراء وفتحها، والمشرق موضع شروق الشمس، والمشرقان مشرق الشتاء والصيف، والشرق أسفاڤها، وشرقت الشمس شرقا وشوقة طلعت لأشرقت، وقيل أشرقت أضاعت وانبسطت على الأرض، وشرق طلعت ، والتشريق الأخ في ناحية الشرق، وقد شقوا إذا ذهبوا إلى الشرق أو أوسط الشرق[1] .

وقد ورد استعمال هذا اللفظ في القرآن الكريم (المشرق والمغرب)، بالإفراد والتثنية والجمع، قال تعالى: {رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا} (١٢)، {رب المشرقيين ورب المغربين} (٩٣)، وقوله تعالى في الآية الأخرى: {فلا أقسم برب المشارق والمغارب} (4)، وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم، وبروزها منه إلى الناس. وليس في هذا التعدد ما يتجاوز المعنى الجغرافي، وذلك لأن المراد بالمشرق والمغرب: (الجهة التي تطلع فيها الشمس وتغرب، وأراد بالمشرقين مشرقي الصيف والشتاء، ومغربي الصيف والشتاء، وأما المشارق والمغارب)، فهما اختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم، وبروزها منه إلى الناس، فإن الشمس تطلع كل يوم في مشرق وتغرب في مغرب، ولذا قال أهل التفسير: المشارق ثلاثمائة وستون مشرقة وكذلك المغارب، [2].

---

[1] ابن السيده المريسي ابوا الحسن علي ابن اسماعيل، المحكم **والمحيط الاعظم**، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 2000، ج6، ص162

[2] القران الكريم

-المزمل الاية 09

-الرحمان الاية 17

-المعارج الاية 40

ب- مصطلح المشرق الإسلامية:

يطلق هذا المصطلح على المنطقة التي تقع شرق العراق وشملتها فتوح الدولة الإسلامية، وأصبحت جزءا مهما منها، وهي (بلاد فارس وخراسان وبلاد ما وراء النهر)[1] ، فهو مصطلح غير محدد بشكل كاف، لأنه من المصطلحات النسبية التي تطبق على أي قطر أو إقليم أو منطقة، لأنه يمثل إحدى الجهات الأربع، فالشرق يقابله الغرب، مثلما الشمال يقابل الجنوب، وهنالك من الجغرافيين من يوسع حدوده، ليشمل العراق والجزيرة الفراتية وأسيا صغرى.[2]،

وهنالك من يقلصها، لأنه يعبر عن هوية هذا الشرق [3] ، الذي يدين أغلب أهله بالإسلام، إلا فئة قليلة، فهو الذي وحد بين أقاليم المشرق، وأقام منه بناءا قويا صلدا، وصنعت مبادئه وتعاليمه ومناهجه حضارة إسلامية زاهرة لا تزال شواهدها باقية تدل على عمق تأثير الحضارة الإسلامية في الحضارة الغربية .

تتميز بلاد المشرق الإسلامي بمواردها المالية الكثيرة وتنوع أنشطتها الاقتصادية، فقد حظيت هذه البلاد بظروف مناخية ملائمة للزراعة والنشاط الزراعي والرعوي مما ساعد على توافر المواد الأولية للنشاط الصناعي والتبادل التجاري. فإننا نرى فيها ((رسانيق جليلة وقرى نفيسة وأشجارا ملتفة وانهارا جارية ونعما ظاهرة ونواحي واسعة))

أبرز أقاليم البلاد:

أ- إقليم خوزستان:

بدا (ابن حوقل)، حديثه عن هذا الإقليم كشاهد عيان لما تعرف عليه عن كثب، ولما سأل فيه أهل تلك البلاد ممن وثق بمعرفته، فأما حدود هذا الإقليم: فمن الشرق يحده بلاد فارس وأصبهان ، وبينها وبين حد فارس من حد أصبهان نهر طاب، وهو الحد إلى قرب (مهروبان)، ثم يصير الحد بين (الدورق) و (مهروبان) على الظهر إلى البحر، ومن الغرب يحده رستاق واسط وأعمالها، وشماليها حد (الصيمرة) و (الكرج) و (اللور) حتى يتصل على

[1] ابن كثير ابوا الفداء سماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2 ،19997 ج، ص492

[2] حمدان عبد المجيد، **الجوانب الاقتصادية والمالية في كتاب معجم البلدان** ليقوت الحموي، منشورات المجمع العلمي العراقي بغداد، 2011، ص263

[3] لسترنج كي، **بلدان الخلافة الشريقة**، ترجمة وتحقيق، بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي بغداد،1994، ص19،14

حدود الجبال إلى اصبهان، إلا إن الحد الجنوبي من حد عبدان إلى رستاق واسط يصير مخروطا، فيضيق في التعبير عما قابله [1]

ب– بلاد فارس:

وأما بلاد فارس فيحيط بها مما يلي المشرق حدود كرمان ومما يلي المغرب كور خوزستان، ومما يلي الشمال المفازة التي بين فارس وخراسان وبعض حدود اصبهان، ومن الجنوب البحر. كورها خمس: وهي كورة (اصطخر) ومدينتها (اصطخر)، وهي أوسع كورها واعرضها واكثرها مدينة ونواحي، ثم تليها في الكبر كورة (اردشير خره) ومدينتها جور، ويدخل في هذه الكورة (قباذ خره) وبكورة (اردشير خره) مدن وهي اكبر من جور مثل (شيراز) و (سيرأف)، وتليها في الكبر كورة (دارا بجرد) ومدينتها (دارابجرد)، وكورة (الرجان) وتليها كورة (سابور)، وهي اصغر كور فارس ومدينتها (سابور)، وبهذه الكورة مدن كبيرة هي اكبر منها ك (النوبندجان) و (كازرون) [2].

ج–بلاد السند:

ايقول ابن حوقل: ((واما بلاد السند وما يصاقبها للاسلام مما جمعته في صورة واحدة فهي بلاد السند وشيء من بلاد الهند ومكران وطوران والبدهة. وشرقي ذلك كله بحر فارس وغربيها كرمان ومفازة سجستان واعمالها، وشماليها بلاد الهند وجنوبيها مفازة ما بين مكران والقفص ومن ورائها بحر فارس.

. وأما نواحي السند ومايقع بها من المدن فالمنصورة اسمها (يامبرامان) بالسندية، و (الديبل) و (النيرون) و (قالري) و (انري) و (باري) و (مسواهي) و (الفهرج) و (بانية) و (منجابري) و (سدوستان) و (الرور) و (الجندرور)

د– بلاد خراسان:

وأما خراسان فتشتمل على كور عظام وأعمال جسام، وخراسان اسم الاقليم والذي يحيط به من شرقيه فنواحي سجستان وبلد الهند، لأن (ابن حوقل) ضم الى سجستان ما يتصل بها من ظهر الغور كله الى الهند، وجعل ديار الخلج في حدود (كابل) و (وخان) على ظهر الختل) كله، وغير ذلك من نواحي بلد الهند، وغربيها مفازة

[1] محمد بن أحمد بن أبي بكر، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق غازي طليات، دار النشر وزارة الثقافة والارشاد القومي 1980، ج01، ص 220 ص 221

[2] ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص225، الأصطخري، المسالك **والممالك**، ص67

الغزية ونواحي جرجان، وشماليها بلد ما وراء النهر وشيء من بلد الترك يسير على ظهر الختل، وجنوبيها مفازة فارس وقومس إلى نواحي جبال الديلم مع جرجان وطبرستان والري وما يتصل بها.

وأعظم كور ونواحي خراسان منزلة وأكثرها جيشا وشحنة وأجلها منزلة وجباية فهي (نيسابور) و (مرو) و (بلخ) و (هرات)، وبها كور دون هذه في المنزلة وصغر الحال فمنها: (قوهستان) و (طوس) و (نسا) و (ابيورد) و (سرخس) و (اسفزار)، و (بوسنج) و (بادغيس) ومرو (الروذ) و (الجوزجان) و (غرج الشار) و (الباميان) و (طخيرستان) و (زم) و (امل).[1]

هـ- بلاد ما وراء النهر:

واما بلاد ما وراء النهر وما يحيط به من شرقيه (فامر) و (الراشت)، وما يتاخم الختل من ارض الهند على خط مستقيم، وغربيه بلاد (الغزية) و (الخرخية) من حد الطراز. و (خوارزم) و (الختل) في ما وراء النهر.

وفي بلاد ما وراء النهر كور عظام وأعمال جسام وفيما يجاور جيحون كورة (بخارى) على معبر خراسان، ويتصل بها السغد المنسوب إلى (سمرقند) و (اشروسنه) و (الشاش) و (فرغانه) وركش) و (نسف) و (الصغانيان) واعمالها والختل)، وما يمتد على نهر جيحون من الترمذ) و (القوانيان) و (اخسيسك) و (خوارزم). فأما (باراب) و (اسبيجاب) إلى الطراز و(ايلاق) فمجموع إلى الشاش)، واما (خجنده) فمضمونه إلى (فرغانه)، ويجمع ما بين (واشجرد) و (الصغانيان) إلى عمل (الصغانيان) و (الختل) بما وراء النهر.

وخوارزم وهو إقليم منقطع عن خراسان وعن ما وراء النهر وتحيط به المفاوز من كل جهة، وحده متصل بحد الغزية مما يلي الشمال والمغرب، وجنوبية وشرقيه خراسان وما وراء النهر وهي ناحية عريضة وأعمال واسعة ومدن كثيرة، وهي أخر جيحون وليس بعدها على النهر عمارة حتيقع ماء النهر في البحيرة، وهي ناحية على جانبي جيحون ومدينتها الكبرى في الجانب الشمالي من جيحون، ولها في الجانب الجنوبي مدينة كبيرة تسمى (الجرجانية)، وهي أكبر مدينة بخوارزم من بعد قصبتها، وهي متجر الغزية، ومنها تخرج القوافل إلى جرجان وكانت قوافلهم تخرج إلى الخزر على مر الأيام والى خراسان [2].

[1] ابن حوقل المرجع نفسه، ص234-395

[2] المرجع نفسه، ص396

المطلب الثالث: الموقع الجغرافي.

أ–الاقليم: تعريفه، ومفهومه.

الإقليم في اللغة: إنما سمي إقليما لأنه مقلوم من الأرض أي مقطوع، وقيل مأخوذ من (قلامة) الظفر لأنه قطعة من الأرض، وأهل الحساب يزعمون أن الدنيا سبعة أقاليم كل إقليم معلوم، وأما في العرف (فالإقليم) ما يختص باسم و يتميز به عن غيره فمصر (إقليم) و الشام (إقليم) و اليمن (إقليم) [1] .

ويبدو إن التقسيم الذي سلكه (ابن حوقل) في تصنيفه للعالم الإسلامي إلى أقاليم، قد تأثر بالتقسيمات الإدارية والسياسية التي كانت سائدة في القرن الرابع الهجري في بعض الأحيان. اذا انه قسم كتابه على قسمين: خصص القسم الأول للحديث عن أهل البلدان وأعيان ملوكها من ذوي السلطان بديار العرب وأوطانهم، وحدد ديار العرب في الحجاز، كما تحدث عن مكة المكرمة، والمدينة المنورة، واليمامة، ونجد، والبحرين والعراق، وبادية الشام، واليمن، ثم انتقل بعد ذلك إلى وصف صورة بحر فارس والمغرب، والأندلس، وصقلية، ومصر، والشام، وبحر الروم ، وأما القسم الثاني من الكتاب فقد تحدث فيه (ابن حوقل)، عن بلاد خوزستان، وفارس، وكرمان، والهند، وأرمينية وأذربيجان والران، والجبال، والديلم وطبرستان، وبحر الخزر، وفارس، وسجستان، وخراسان، وبلاد ما وراء النهر[2].

وقد حصر (ابن حوقل اهتمامه – على وجه التقريب – في وصف ديار الإسلام، مع إهمال البلاد الواقعة خارجها [3]، شأنه في ذلك شأن بقية ممثلي المدرسة الكلاسيكية التي ينتمي إليها، والتي كان من ابرز سمات أصحابها أنهم يرتبطون فيما بينهم بنسق واحد ارتباطا وثيقا [4] إلا أن هذه المدرسة ((وإن كانت أكثر تشددا في أسلوب وأكثر تمسكا بالمنهج العلمي، إلا إنها في مقابل ذلك كانت أميل إلى تضييق أفقها الجغرافي بعض الشيء) [5]، إلا إن (ابن

---

[1] المقري الفيومي أحمد بن محمد بن علي (ت.هـ-1367م)، **المصباح المنيرفي غريب الشرح الكبير للرافعي**، نشرالمكتبة العلمية بيروت، ج02، ص515

[2] ابن حوقل، صورة الأرض، ص431-432

[3] كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي**، ص220-223

[4] كراتشكوفسكي، المرجع نفسه، ص212

[5] كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافين** ص223، عبد الحميد أبوعبية، الحضارة الإسلامية، ص273

حوقل) كان يتجاوز في حالات معينة بالطبع نطاق العالم الإسلامي، كما في روايته عن هزيمة الروس للبلغار والخزر حوالي عام (358هـ/968م))[1].

كما إن هذه المدرسة امتازت أيضا بوصف البلدان ورسم الخرائط للعالم الإسلامي التي كانت تمثل أطلس الإسلام في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إلا أن (ابن حوقل) تميز عنهم بمنهجه القويم القائم على المشاهدة لكل ما كتبه، والنقد لكل ما سجله، ومن ثم التدوين بلغة معقولة سلسلة، وعبارات قوية رصينة خالية من السجع والمحسنات البديعية، مع اهتمامه البالغ بالتجارة والجبايات، فضلا عن اعتماد الخارطة كجزء لا يتجزأ من النص[2] ، واضعا إياها في صدر بحثه عن كل إقليم ، بقوله: ((قد جعلت لكل قطعة أفردتها تصويرة يحكي موضع الإقليم، ثم ذكرت ما يحيط به من الأماكن والبقاع، وما في أضعافها من المدن والأصقاع... واستوفيت صور المدن وسائر ما وجب ذكره... وأعربت عن مكان كل إقليم مما ذكرته، واتصال بعضها ببعض، ومقدار كل ناحية في سعتها، وصورتها من مقدار الطول والعرض والاستدارة والتربيع والتثليث، وسائر ما يكون عليه أشكال تلك الصورة والعمل، وموقع كل مدينة من مدينة تجاورها، وموضعها من شمالها وجنوبها)[3]. ولذلك كان يستخدم تعبير (صورت)، كصورة الشام، أو أعقبتها بصورة العراق ومياهها وبطائحها...أو اتبعتها بصورة كرمان برها وبحرها وسهلها وجبلها ...، ثم صورت بلاد السند ومدنها وطرقها وسبلها وبحرها... ثم صؤرت الجبال وأعمالها ومواقع بلدانها[4]، مما يدل على أن (ابن حوقل) كان يعتمد اعتمادا كاملا على الخرائط والمصورات، وهذا التقليد هو الذي اتبعته المدرسة الجغرافية العربية الإسلامية في رسم (أطلس الإسلام)، والذي يعد نسيج لوحده [5] .

ويعد كتاب (صورة الأرض)، لابن حوقل من أهم المصادر في دراسة التاريخ الاقتصادي الإسلامي، لذا نجد بأن المستشرق (كراتشكوفسكي)، يرى بأن كثيرا من المصالح التجارية ل (ابن حوقل) قد انعكست في تضاعيف كتابه [6] ، بينما يصف الدكتور أحمد رمضان الحالة (ابن حوقل) بالدقة في الوصف، ولا سيما في تقديم المعلومات الاقتصادية الهامة، كقضايا الخراج والجباية والعشور والصدقات، ويعلل ذلك الاهتمام، ومن ثم الدقة فيه، بأنه جاء

---

[1] ابن حوقل، نفسه، ص232

[2] عبد الحميد أبوعبية، **الحضارة الإسلامية**، ص274، أحمد الرحلة والرحالة المسلمون، ص118

[3] ابن حوقل المرجع نفسه، ص15

[4] ابن حوقل، صورة الأرض، ص16-17

[5] كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ص212-223-224

[6] كراتشكوفسكي، المرجع نفسه،ص22

وليد اتجاه (ابن حوقل) الاقتصادي باعتباره كان تاجرة وحالة في ذات الوقت [1]، فقد التقى بأحد التجار من أهل سجلمانة (54)[2] التي دخلها سنة (٩٠١ / ٣٦٠ م)، وكان لديه صك على رجل من تجار اودغست بمبلغ اثنين واربعين الف دينار.

المبحث الثاني: بلاد المغرب.

المطلب الأول: جغرافية بلاد المغرب.

أ-أصل التسمية:

استخدم الدارسون والباحثون العديد من التسميات للدلالة على بلاد المغرب، حيث اختلفت تسميات المنطقة وتنوعت حسب الأزمنة والشعوب التي سكنتها، ومن بين هذه التسميات نذكر:

أ- ليبيا :ويعود هذا المصطلح إلى الجذر ليبو" أو "لوبيا" أو ريبوا [3]كما وردت أيضا في النصوص الهيروغليفية للدلالة على الشعوب التي تسكن غرب نهر النيل، حيث تعد الشواهد المصرية من أقدم الأدلة على هذه التسمية التي تعود إلى عصر ما قبل الأسرات أي أكثر من 3000 سنة ق، م[4] كما نكر أيضا اسم ليبيا في المصادر الإغريقية فهيرودوت مثلا نكر ليبيا على أنها قارة من قارات العالم القديم وهي الثالثة بعد أوروبا وآسيا[5]، وبخصوص هذه التسمية تباينت آراء ألمؤرخين فمنهم من يقول بأن الاسم مشتق من اللوب ويعني العطش[6] ، وذلك حسب المنطقة التي كانت جافة وخالية من المجاري المائية الدائمة والبعض الآخر يقول بأن الاسم مشتق من اسم ملكة حكمت شعبا غرب

---

[1] أحمد، **الرحلة والرحالة المسلمون**،118-121

[2] *سجلمانة: وهي مدينة مغربية حسنة الموضع جليلة الأهل تقع على نهر يزيد في الصيف وتنتشر المزارع على جانبيه التي تسقى بمائه،ومنها إلى فاس ثلاثة عشر مرحلة ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص90

[3] علي محمد الصلابي: تاريخ **ليبيا الإسلامي والشمال الإفريقي**، ط1، دار البيارق، عمان،1997، ص135

[4] علي عيسى: **الليبيون من خلال المصادر الأثرية والتاريخية القديمة** قسم التاريخ جامعة الفاتح طرابلس (د،ت)،ص ص 2 3

[5] السعيد قعر المثرد:ا **لزراعة في بلاد المغرب القديم**، ملامح النشأة والتطور حتى تدمير قرطاجة سنة146ق،م –مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير جامعة، جامعة منتوريعقسنطينة،2007-2008،ص7

[6] أبو الفاضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منضور(ت711هـ،1311م):**لسان العرب**،ط3،تقديم وتصحيح أمين محمد عبدالوهاب ومحمد الصادق العبيري،مجلد14،دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان،1999،ص350.

نهر النيل تسمى ليبية أو لوبية"، أو من كلمة البؤة أي أنثى الأسد ومن ثم عممت على المنطقة كلها[1].

ب– إفريقيا: وردت لفظة إفريقيا عند ابن خلدون بمعنى فرق أو قسم[2]، أما عن أصل التسمية فبالرغم من تباين آراء المؤرخين فإنه من المرجح أنها مشتقة من جنر ليبي تفرعت منه كلمات عديدة ومن بينها "إفري" "IFRI" والتي تعني مكان الكهوف والمغارات[3] ، مثل قبيلة بني إفران" في منطقة القبائل[4] وعليه فإن كلمة إفريقيا مشتقة من كلمة إفري التي نعت بها الرومان المغاربة ثم اطلقوا التسمية على مقاطعتهم التي انشأوها على تراب قرطاجة عام 146ق.م، والظاهر أن لفظ إفري كان مرادفا للفظ ليبو في أذهان الرومان الذين درجوا على استعماله بدل لفظ لبيو، وعمموه تدريجيا حتى أصبح يعني جميع بلاد المغرب[5].

ويرى ابن خلدون حسب ما نقله موسى لقبال أن لفظ إفري منسوب لملك حميري يسمى إفريقش* ، ومنه أصبحت لفظة إفريقيا ذات محلول واسع ليشمل اسم القارة كلها[6].

ج – بلاد البربر: أما تسمية بلاد البربر فهي منسوبة إلى مكانها الأصليين، إذ يرى ابن خلدون" أن البربر ينتسبون إلى جدهم الأول إفريق" الذي قال عنهم عندما سمعهم يتحدثون ما أكثر بربريتكم"، أي الأصوات غير المفهومة[7] .

ومن هنا سمو بالبربر، والعرب أخنوا تسمية البربر عن الرومان الذين بدورهم أخذوها عن الإغريق والتي كانت تعلي عندهم الأعاجم والغرباء عن الحضارة اليونانية والرومانية[8] .

---

[1] أبو الفاضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور (ت711هـ،1311م): **لسان العرب**، ط3، تقديم وتصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيري، مجلد14، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،1999، ص350.

[2] علي فهمي خشيم:**آلهة مصر العربية** ،ج1،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1998،ص73.

[3] عبدالرحمن بن محمد الحضرمي، ابن خلدون (ت808هـ،1405م): **تاريخ ابن خلدون المسمى بديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج6 (د،ط) دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت،1979،ص97.

[4] موسى لقبال: **المغرب الإسلامي**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د،ت)؛ص13

[5] السعيد قعر المثرد: المرجع السابق المرجع السابق ص 11.

[6] محمد البشير شنيتي: الجزائر–**قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة**–دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع–عين مليلة –الجزائر،2013، ص ص 68–69.

افريقش*: هو إفريقش ابن قيس بن صيفي أخو الحارث الرائش وهو الذي ذهب بقائل العرب الى افريقية وبه سميت وساق البربر اليها من ارض كنعان، ينظر: ابوا العباس الناصري: الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى، تح، جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج1، (د،ط)،دار الكتاب ،دار البيضاء المغرب ،1997،ص، ص117.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص97.

[8] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص87.

د- بلاد الأمازيغ: وهو الاسم الذي أطلقه المغاربة القدامى على أنفسهم ويقصد بها الأحرار أو النبلاء[1] ، ويذهب بعض المؤرخين إلى اعتبار مصطلح أمازيغن" أو "أمازيغ" وهو الاسم الحقيقي لبلاد المغرب، نظرا لتواجد هذا الاسم في العديد من أسماء بعض القبائل المغربية وفي بعض المناطق والمغاربة مازالو إلى يومنا هذا يطلقون هذا الاسم على أنفسهم[2] ، كما أن لفظة الأمازيغ أطلقت على سكان بلاد المغرب منذ القدم، حيث ذكرهم ميكائي" "Hecate" في القرن 6 ق، م باسم مازيس Mazyes"وذكرهم هيرودوت في القرن 5 ق، م باسم الماكسيس[3] ، كما ذكر هذا المصطلح أيضا عند المصريين القدامى وخزف لاعتبارات لغوية ليصبح اسمه مشوش[4] ، ونسب ابن خلدون سكان المغرب القديم إلى أبيهم مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام[5]

هـ - بلاد المغرب: يقصد بمصطلح بلاد المغرب كل الأقاليم الواقعة غرب مصر والتي تشمل الشمال الإفريقي[6]

تمتد من حدود مصر الغربية إلى المحيط الأطلسي[7] وتضم هذه المنطقة ليبيا حاليا المشكلة من ولاياتها الثلاثة برقة* ، طرابلس، فزان[8] ، وأجزاء المغاربة الثلاثة، المغرب الأبني المتمثل في تونس الحالية وسمي بهذا الاسم لأنه الأقرب لدار الخلافة في الحجاز وكانت عاصمته آنذاك القيروان" والمغرب الأوسط والمتمثل في الجزائر حاليا وعاصمته في صدر الإسلام كانت تلمسان، والمغرب الأقصى وعاصمته كانت مراكش وسمي بذلك لأنه أبعد الممالك عن دار الخلافة الإسلامية[9] .

---

[1] ابن خلدون: المصدر السابق ص،94-95.

[2] شارل أندري جوليان: **تاريخ شمال افريقيا (تونس الجزائر المغرب الاقصى) منذ البدء الى الفتح الاسلامي سنة 647** ج1 تعريب: م، مزالي بن سلامة الدار التونسية للنشر، طرابلس،1993، ص12.

[3] محمد شفيق: ثلاثة **وثلاثون قرنامن تاريخ الأمازيغ**،دار مكتبة الفكر،طرابلس،1988،ص8.

[4] الدراجي بوزياني: **القبائل الأمازيغية** (أدوارها، مواطنها، أعيانها)، ط4، ج1، (د،ن)،2010،ص ص 15-16.

[5] محمد شفيق: المرجع السابق، ص9.

[6] محمد شيت خطاب: قادة **الفتح في بلاد المغرب**، ط7، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،1984، ص14.

[7] حسين مؤنس: **معالم المغرب والأندلس**، (د،ط)،دار الرشاد للطباعة والنشر القاهرة،(د.ت)،ص24.

*برقة: بفتح أوله والقاف اسم صقع كبير يشمل على مدنوقرى بين الإسكندرية وإفريقيا واسم مدينتها أنطالبس وتفسير الخمس مدن، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج1، (د،ط)،دار صادر،بيروت،لبنان،1988،ص388.

[8] محمد شيت خطاب: المرجع السابق، ص14.

[9] الناصري: المصدر السابق، ج1، ص127.

المطلب الثاني: أصل السكان:

أ–البربر: هم سكان المغرب الأصليين منذ أقدم العصور[1]، وهم أقدم عنصر بشري عرفه التاريخ في الشمال الإفريقي[2] ، ولفظة البربر كما أشرنا سابقا هي تسمية إغريقية كان الإغريق يطلقها على كل من لا يتكلم الإغريقية[3] ، ولا يندمج مع حضاراتهم والمؤرخين العرب أخذوا هذا اللفظ عن الرومان والإغريق وصار من الأسماء الأكثر شيوعا التي تعت بها السكان المحليون في العصور الاسلامية[4].

وينقسم البربر إلى قسمين كبيرين وهما البرانس "و البتر"، وابن خلدون يرى بأن علماء النسابة البربر هم من ابتدعوا هذا التقسيم، حيث أن البربر يجمعهم جدان وهما برنس ابن پر، ويلقبون بالبرائس ومادغيس بن بر، ويطلقون على أنفسهم البتر أو الأبتر[5] ، أما البرانس فنجدهم في بلاد المغرب يتكونون على مجموعة من القبائل ومنها: مصمودة أورية، عجيسة، كتامة، صنهاجة، أوروغبة، لمطة، هسكورة، جزولة[6] ، أما من بين القبائل البتر فتذكر: تفوسة، أداسة، ضريسة، ويتولو[7].

ب – السكان الأفارقة: وتنسب هذه التسمية إلى إفريقية[8]، وهذا ما أورده موسى اقبال في كتابه المغرب الإسلامي حيث قال : «... الأفارقة هو مزيج جنسي فيهم من تجري في عروقهم الدماء السامية القرطاجية، ومنهم من انتسب إلى السلالة الآرية، أي من بقايا الرومان والروم... »[9]. والأفارقة قبل دخول الإسلام كانوا أمة مسيحية، وبعد دخول الإسلام أسلم معظمهم ، أما لغتهم فكانت عبارة عن مزيج بين اللغة البربرية واللغة اللاتينية[10]، كما

[1] حسين مؤنس: المرجع السابق، ص28.
[2] محمد شيت خطاب: المرجع السابق، ص15.
[3] حسين مؤنس المرجع السابق، ص28.
[4] أبو العباس الناصري السلاوي: ج1، ص116.
[5] أبو العباس، نفسه، ص120.
[6] محمد، مرجع سابق، ص17.
[7] أبو العباس الناصري: المصدر السابق، ص121.
[8] محمد شيت خطاب: المرجع السابق، ج1، ص19.
[9] موسى لقبال، المرجع السابق، ص16.
[10] محمد شيت خطاب: المرجع السابق، ص20.

سكن بلاد المغرب العديد من الشعوب والأجناس المختلفة كالإغريق والرومان والوندال، وبعد دخول الإسلام جاتها العديد من الهجرات العربية إلى المنطقة كهجرة العرب الهلالية مثلا.

الفصل الأول

المذهب المالكي وانتشاره في بلاد المغرب

المبحث الأول:سيرة الإمام مالك

المبحث الثاني: أطوار المذهب ومراحله التاريخية

المبحث الثالث: أسباب توجه العلماء

المبحث الأول: سيرة الإمام مالك.

المطلب الأول: الإمام مالك ومراحل تطور مذهبه.

أولا: مالك بن أنس، مولده ونسبه:

هو إمام دار الهجرة وشيخ الإسلام وحجة الأمة أبو عبد الله مالك بن أنس بن عمرو بن الحارث ابن غيمان ابن خثيل ابن عمرو ابن الحارث ،وفي نسب الإمام مالك اختلاف مع اتفاقهم أنه عربي أصبحي ، ولم يختلف النسابون أن الأصباحيين من حمير وحمير من قحطان[1].

وقد اختلف العلماء في السنة التي ولد فيها مالك رضي الله عنه فقيل أنه ولد سنة تسعين وقيل سنة ثلاث وتسعين وقيل سنة أربعة وتسعين وقيل سنة خمسة وتسعين وقيل سنة ستة وتسعين وقيل سنة ثمانية وتسعين ، ولكن الأكثرين على أنه ولد سنة ثلاث وتسعين[2] ، ولقد روى أن مالكا قال :« ولدت سنة ثلاث وتسعين» ، وقد ذكر أن أمه حملت به ثلاث سنين ويذكر أنه كان أشقر شديد البياض كبير الرأس أصلع وكان لا يخضب شيبه[3]، وقد ولد بالمدينة من أبوين عربيين من قبائل يمنية فأبوه ينتهي إلى قبيلة يمنية هي قبيلة ذي أصبح[4] ،وأمه تنتهي إلى قبيلة الأزد واسمها العالية بنت شريك الأزدية ، أما جده أبو مالك فهو صحابي شهد المغازي كلها مع رسول الله صل الله عليه وسلم[5].2

عاش الإمام مالك رحمه الله نحو من سبعة وثمانين سنة ،كان منها في العصر الأموي نحو أربعين سنة ومنها في العصر العباسي الأول نحو سبعة وأربعين سنة[6].

نشأ المذهب المالكي بالمدينة المنورة ثم انتشر في الحجاز وغلب عليه ووغلي على البصرة ومصر وما ولاها من بلاد افريقية والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى إلى بلاد السودان ، وكانت مصر بعد الحجاز أول بلاد انتشر فيها

---

[1] – الطاهر الازهري خذيري، **المدخل الى مالك ابن انس**، مكتب الشؤون الفنية، الكويت، ط2008،1، ص19.

[2]– محمد ابوا زهرة، **مالك حياته وعصره وآراؤه وفقه**، دار الفكر العربي، ط ،1952، ص24

[3] ابي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (463 ه)، **الانتقاء في فضائل الثلاثة الائمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم**، مكتبة القدس، القاهرة، ص12.

[4] محمد ابوا زهرة، تاريخ **المذاهب السياسية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، ص366**.

[5] روابح شهرة، الصراع **المذهبي بين المالكية والحنفية في عهد الاغالبة** (184- 296ه)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، جامعة 08 ماي 1945 شعبة التاريخ 2017- 2018 ص 390.

[6] عبد الغاني الدقر، الامام **مالك ابن انس امام دار الهجرة**، اعلام المسلمين23، دار القلم، دمشق، ط2، 1998، ص14.

علم مالك ، وكثر تلاميذه حتى صدر العلم المالكي عنهم من بعده ، وكان أول من قدم إلى مصر عبد الرحيم ابن خالد بن يزيد وعثمان ابن الحكم من أصحاب مالك ،ثم نشره عبد الرحمن ابن القاسم ،ولا زال المذهب المالكي معمولا به في مصر مع المذهب الشافعي ، الذي زاحمه بعد مجيء الشافعي إلى مصر والمذهب الحنفي الذي كان المذهب الرسمي للدولة العباسية ،ثم عاد الانتعاش للمذهب المالكي في عصر الدولة الأيوبية وبنت لفقهائه المدارس ثم عمل به في القضاء استقلالا لما أحدث الظاهر بيبرس لما أحدث في دولة المماليك البحرية القضاة الأربعة ، وصار قاضي المالكية الثاني في المدينة بعد نظيره الشافعي ،وظهر في مصر أئمة كبار لهم أثر واضح في مسيرة المذهب المالكي ، وكان المذهب المالكي هو الغالب على أهل افريقية والمغرب ، وكان له علماء أجلاء نشروه كعبد السلام ابت سعيد التنوخي ،وقد حل المذهب الحنفي محل المذهب المالكي فترة قصيرة ،ثم عاد المذهب المالكي واستمرت له السيادة على افريقية وعلى سائر بلاد المغرب إلى اليوم ،كما دخل المذهب المالكي صقلية وكان الغالب على بلاد الأندلس ،وقد انتشر فيها انتشارا عظيما وظهر به فقهاء كبار أمثال ابن عبد البر النمري وأبي الوليد الباجي ،كما ظهر ببغداد والعراق ظهورا كثيرا وكان بالعراق من المالكية أئمة كبار أمثال القاضي اسماعيل ابن اسحاق ،ثم ضعف فيها بعد القرن الرابع ، وغلب في خراسان وكان في بلاد فارس وانتشر باليمن وفي كثير من بلاد الشام وهو منتشر الآن في طرابلس الغرب (ليبيا) وتونس والجزائر وبلاد المغرب الأقصى وأيضا منتشر في صعيد مصر والسودان وقطر والبحرين والغالب في الكويت والإمارات العربية المتحدة وله وجود قليل في فلسطين والعراق.[1]

المطلب الثاني نشأته وصفاته:

أ.نشأته :

نشأ مالك في بيت اشتغل بعلم الأثر وفي بيئة كلها للأثر والحديث ، أما بيته فقد كان مشتغلا بعلم الحديث واستطلاع الأثار و أخبار الصحابة وفتاويهم ، فجده مالك بن عامر كان من كبار التابعين وعلمائهم ويظهر أن أنس بن مالك لم يكن اشتغاله بالحديث كثيرا فلم يعرف أن مالكا روي عنه ، ولو كان له شأن فيه لكان أول من روى عنهم من العلماء [2]،كانت بيئته العامة (المدينة) تعج بالعلماء الذين اتخذوها سكن ومروا بها زيارة وطلبا للعلم.[3]

---

[1] هشام يسرى العربي **جغرافية المذاهب الفقهية** دار البصائر، القاهرة، ط1،2005، ص ص 5-15.

[2] – محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الاسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية** ،نفس المرجع، ص29.

[3] – محمد المختار المامي: **المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسماته**، مركز زايد للتراث والتاريخ، الامارات العربية المتحدة، ط1،2002، ص30.

بدأ مالك نشاطه العلمي وهو صغير وكان كبيرا في تفكيره وعقله ، بدل ذالك ما وضعه في منهج للتلقي لم يكن لغيره مثله [1]،اتجه مالك إلى حفظ القرآن فحفظه وقد اقترح على أهله أن يحضر مجالس العلماء كعمه وأخيه من قبل ليكتب العلم ويدرسه وقد أجابوا طلبه ، وكانت أشدهم عناية أمه التي لم تكتف بالعناية بمظهره فكانت تختار له مايأخذه عن العلماء فقد كانت تقول له : « اذهب إلى ربيعة فتعلم من علمه قبل أدبه.» وقد أخذ بعد ذالك ينتقل في مجالس العلماء ، وقد اختار شيخا يلازمه وهو ابن هرمز وقد كان معجبا بشيخه محبا له مقدرا لعلمه ، ويتل مالك جهدا في طلب العلم وتحمل في سبيله كل مشقته.[2]

ابتدأ مالك بعلم الرواية وهو علم احاديث رسول الله ومن العلوم التي طلبها طلب الحديث وفتاوى الصحابة أولا واجه إلى كل ما يتصل بعلم الإسلام مع علم الآثار والرواية ،ولم يكتفي مالك بفقه الصحابة وكبار التابعين بل اتجه إلى فقه الرأي وقد تلقاه عن بعض فقهاء الرأي بالمدينة كيحيى بن سعيد وما كان يكثر من الرأي[3] وقد أخذ العلم عن تسعمائة شيخ ثلاثمائة من التابعين وستمائة من تابع التابعين ، جلس للتدريس وهو ابن سبعة عشر عاما وصارت حلقته أكبر من حلقة مشايخه ودخل ميدان الفتوى بعد سبعة عشر سنة ، وما تقلد منصب الفتوى حتى شهد له سبعون شيخا.[4]

ب.صفاته :

كان شديد البياض إلى الشفرة طويلا عظيم الهامة أصلع يلبس الثياب العربية الجياد ويكره حلق الشارب ويعيبها ويراه من المثلي ولا يغير شيبه[5] ، وقيل كان أزرق العينين ، تميز بالذهن الثاقب والفهم وسعة العلم واشتهر بالتحري وظل طالب علم بعد أن أصبح فقيها كبيرا يسعى إليه الناس من كل أقطار الأرض[6].

---

[1]. المرجع نفسه،ص30

[2] – محمد أبو زهرة: المرجع نفسه، ص ص367-370.

[3] المرجع نفسه ص 367-370.

[4] –روابح شهرة المرجع السابق، ص46.

[5] أبي زكرياء يحي بن ابراهيم السلماسي (555هـ)، **منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد**، تحقيق: محمود بن عبد الرحمان قدح، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، ط1،2002، ص186.

[6] روابح شهرة المرجع السابق، ص44.

. مؤلفاته : و لقد ألف مالك رحمه الله كتبا متعددة في فنون مختلفة ومن أشهرها كتاب الموطأ الذي ملأ الدنيا وشغل الناس ، ومن بين كتبه أيضا نجد رسالة لابن وهب في الرد على القدرية ،كتاب في النجوم وحساب مدار الزمان ومنازل القمر ،رسالة في الأقضية ،رسالة في الفتوى ،كتاب في التفسير لغريب القرآن[1].

المطلب الثالث: أشهر شيوخه وتلاميذه:

1. شيوخه: أخذ الإمام مالك رحمه الله عن شيوخ كثيرين ومن أبرزهم ما يلي:

ا– نافع : مولى ابن عمر رضي الله عنهم وهو أبو عبد الله الديلمي وهو إمام مشهور من أئمة التابعين توفي رحمه الله سنة 117 هـ وقيل 120 هم وقيل سنة 119 هـ) [2]

ب– ابن شهاب الزهري: وهو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث القرشي الزهري وكنيته أبو بكر، وهو أحد الأئمة التابعين أخذ العلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وأنس بن مالك وغيرهما، توفي سنة 120 هـ وقيل سنة 123 هـ.

ج– **ربيعة الرأي** : وهو ربيعة بن عبد الرحمان الفروج التيمي ويكنى أبا عثمان ،توفي سنة 133 هـ وقيل 136 هـ وقيل 142 هـ.[3]

د– ابن المكندر: محمد بن المكتدر اين عبد الله ابن الهدير التيمي القرشي المدني وكنيته أبو بكر وقيل أبو عبد الله ، وقيل توفي سنة 130 هـ وقيل 131 هـ.1 5) جعفر الصادق : جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بجعفر الصادق ،كان من سادات آل البيت وعباد تابعي التابعين وعلماء المدينة ، توفي رحمه الله سنة 148 هـ.[4]

[1] محمد مختار المامي المرجع السابق، ص35.
[2] المرجع نفسه، ص 37-41.
[3] المرجع نفسه، ص ص 37-41.
[4] المرجع نفسه، ص ص 37-41.

2. تلاميذه:

تلاميذ مالك كثيرون من أهمهم : عبد الله بن مسلمة ، بنت قنعب ، الحارثي يكنى أبا عبد الرحمان وعبد الله الحكم المصري والليث بن سعد يحي بن يحي القرطبي وأبي وهب القريشي ، عيسى بن دينار القرطبي و أسد بمن الفرات.[1]

3- وفاته:

لا خلاف أنه مات سنة تسع وسبعين ومائة حيث مرض يوم الأحد فأقام مريضا اثنين وعشرين يوما ،ومات يوم الأحد العشر خلون من ربيع الأول ، وقال ابن سعد لأربع عشرة خلت منه ، وقال مصعب بن عبد الله في صفر ، وصلى عليه عبد الله بن محمد بن ابراهيم الهاشمي أمير المدينة وحضر جنازته ماشيا ،وبلغت تاركته ثلاثة ألاف دينار .[2]

المبحث الثاني: أطوار المذهب ومراحله التاريخية:

مز المذهب المالكي منذ بداية تأسيسه إلى أن تنضج واكتمل بمراحل علمية مختلفة وأطوار متعددة ولكل مرحلة من هذه المراحل خصائصها وميزاتها التي تميزها عن غيرها، ويمكن تلخيص تلك الأطوار في مراحل رئيسية وهي:

المطلب الأول: مرحلة النشوء والتكوين (110 هـ- 300 هـ):

هي مرحلة التأصيل والتأسيس وتبدأ من جلوس إمام المذهب الإمام مالك رحمه الله للفتوى وتسليم الناس له بالإمامة سنة 110 هـ وتنتهي بنهاية القرن الثالث وتوجت هذه المرحلة بنبوغ طائفة من تلاميذ الإمام مالك وتلاميذ تلاميذه منهم : عالم العراق القاضي اسماعيل بن اسحاق، وقد تميزت هذه المرحلة بجمع الروايات والسماعات عن الإمام مالك وترتيبها وتدوينها في مصنفات معتمدة ، تضم إلى جانبها بعض ما لتلاميذ الإمام من اجتهادات وتخريجات ،ومن أهم الكتب التي صنفت في هذه المرحلة الأمهات الأربع.[3]

[1] محمد المختار مامي، المرجع السابق، ص ص 37-41.

[2] المرجع نفسه، ص ص 37-41.

[3] وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء، المرجع السابق، ص ص 69-70.

- **مرحلة التطور (301 هـ – 600 هـ:**

كانت على يد نوابغ علماء المالكية الذين فرعوا وطبقوا ومن ثم رجحوا وشهروا، وتبدأ هذه المرحلة مع بداية القرن الرابع هجري تقريبا وتنتهي بنهاية القرن السادس وبداية القرن السابع هجري، أو بوفاة ابن شاس رابع أربعة اعتمدهم خليل ابن اسحاق مصنف أشهر مختصر في الفقه المالكي.

تميزت هذه المرحلة بظهور نزعة الضيط والتحرير والتمحيص والتنقيح والتلخيص والتهذيب مع التفريع وكذا الترجيح لما ورد في كتب المرحلة السابقة من السماعات والروايات و الأقوال ، فهي بمثابة الغربلة والتمحيص لما كان في مرحلة الجمع والترتيب ومن أشهر المصنفات المختصرة في هذه المرحلة التفريع لابن الجلاب وتهذيب المدونة من اشهر المصنفات المختصرة في هذه المرحلة التفريع لابن الجلاب وتهذيب المدونة للبرادعي.[1]

- **مرحلة الاستقرار (601 هـ إلى العصر الحاضر):**

تبدأ ببداية القرن السابع هجري تقريبا أو بظهور مختصر ابن الحاجب الفرعي المعروف بجامع الأمهات، وهذه المرحلة مرحلة الشروح والمختصرات والحواشي والتعليقات وهب سمة تظهر غالبا حين يصل علماء المذهب إلى قناعة فكرية بأن اجتهادات علماء المذهب السابقين لم تترك مجالا لمزيد من الاجتهاد، إلا أن يكون اختيارا أو اختصارا أو شرحا. وقد سهدت هذه المرحلة امتزاج أراء مدارس المذهب المالكي وانصهارها في بوتقة واحدة ،أنتجت كتب فقهية تمثل المذهب بغض النظر عن الانتماء المدرسي قاندمجت الآراء العلمية في بعضها ،وتلاشت الاختلافات الجذرية ،ألا ما كان من قبيل الاجتهادات الفردية التي تظهر حتى بين علماء المدرسة الواحدة.[2]

المطلب الثاني: أصول المذهب المالكي وحدوده الجغرافية:

أولا: أصول المذهب المالكي:

لم يدون مالك أصوله التي بني عليها مذهبه واستخرج على أساسها أحكام الفروع التي استخرجها والتي قيد نفسه في الاستنباط بقيودها ، وكان في ذالك كأبي حنيفة معاصره ولم يكن كتلميذه الشافعي الذي دون أصوله في

[1] المرجع نفسه، ص ص 69-70.

[2] وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء، المرجع السابق، ص71.

الاستنباط وضبطها ، ولكن مالكا وإن لم يذكر الأصول الفقهية الاستنباطية قد أشار إليها بتدوين بعض فتاويه ومسائله والأحاديث المسندة بسند متصل والمتقطعة والمرسلة والبلاغات.[1]

وتعتبر الأصول التي بني عليها المذهب المالكي أصح الأصول والقواعد وجماع أصول المذهب : الكتاب ، السنة ، الإجماع ،إجماع أهل المدينة ، القياس قول الصحابي ،المصلحة المرسلة ، العرف سد الذرائع ، الاستحسان والاستصحاب ،وحاول البعض أن يصل بها إلى أكثر من ذلك ، فقالوا أن الأدلة التي بني عليها الإمام مالك مذهبه سبعة عشر ، وقد بعضهم أصول المذهب المالكي إلى الخمسمائة وذلك بالرجوع إلى القواعد التي استخرجت من فروعه المذهبية.[2]

ولقد لخصها الشاطبي في أربعة : « الكتاب والسنة والإجماع والرأي وتشمل السنة عمل أهل المدينة وقول الصحابي ، لأن مفهوم السنة عند مالك يشملها ، ويشمل الرأي : المصالح المرسلة وسد الذرائع والعادات والامتحان والاستصحاب وكلها من وجوه الرأي[3] » ، وعليه نذكر الأصول التالية :

أ. **الكتاب** : يقول الشاطبي إن كتاب الله تقدر أنه على الشريعة وعمدة الملة وينبوع الحكمة وأن لا طريق إلى الله سواه ،ولا يحتاج إلى تقرير أو استدلال عليه لأنه معلوم من دين الأمة وقد نظر مالك رضي الله عنه إلى القرآن تلك النظرة السامية ولم ينظر إليه نظرة الجدليين ، ولم يخض فيما خاض المتكلمون في عصره ومن بعده في كون القرآن مخلوقا ، لأنه لم يرد أن يجعل مسائل الدين غرضا لجدل المجادلين وعبث العابثين.[4]

ب. السنة : تكون السنة في المرتبة الثانية التي تلي الكتاب وهو يأخذ بالمتواتر منها وهو الذي رواه جمع يؤمن اتفاقهم على الكتاب عن جمع مثلهم ، حتى يصلوا بذالك إلى النبي له ويأخذ بالمشورة منها وهو ما رواه عن النبي له واحد من الصحابة أو اثنان أو أكثر من التابعين ثم رواه من بعدهم عدد يؤمن تواطؤهم على الكذب[5] ويلاحظ في الأحاديث التي رويت عنه أن شروط الرواية كانت لديه أقل من شروط الرواية التي وضعها الإمام أبو حنيفة الذي شد كثيرا بقبوله و لعل السبب في ذالك أن الإمام مالك اعتمد على الرواة في المدينة مهد السنة.[6]

---

[1] محمد أبو زهرة، مالك حياته وعصره آراءه وفقهه، ص273.

[2] روابح شهرة، المرجع السابق، ص48.

[3] عبد الغاني دقر، المرجع السابق، ص155.

[4] محمد أبو زهرة، مالك حياته وعصره، آراءه وفقهه، ص278.

[5] محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، ص298.

[6] روابح شهرة، المرجع السابق،ص50.

.**ج- عمل أهل المدينة** : هو ما اتفق عليه العلماء والقضاة بالمدينة في زمن الصحابة والتابعين سواء أكان عنده نقلا أم اجتهادا فجماهير المالكية من المتقدمين والمتأخرين على أن العمل المدني الذي اعتمده مالك واحتج به هو العمل النقلي المأثور ،أما العمل المدني الذي لا يستند إلى النظر والاجتهاد فلا يعد حجة عند جمهورهم.[1] كان مالك رضي الله عنه يعتبر عمل أهل المدينة حجة إذا كان ذالك العمل لا يمكن أن يكون نقلا عن النبي .[2]

د. قول الصحابة : بري مالك في مذهبه أنه إذا لم يرد حديث صحيح في المسألة عن النبي الله فإن قول الصحابي إذا لم يعلم له مخالف يكون حجة ،وقد ضم الموطأ العديد من أقوال الصحابة والتابعين ،فالصحابة أعلم بالتأويل وأعرف بالمقاصد بأنهم حضروا التنزيل وسمعوا كلام رسول الله لا فقولهم أولى بالأخذ يخص بهم العام ويترك لأجله القياس.[3]

هـ. الإجماع : كان مالك أكثر الأئمة ذكرا للإجماع واحتجاجا به ، فالإجماع هو اتفاق أهل الحل والعقد من هذه الأمة في أمر من الأمور ، ونعني بالاتفاق الاشتراك إما في القول أو الفعل أو الاعتقاد وبأهل الحل والعقد المجتهدين في الأحكام الشرعية ،وترى الإجماع الذي يحتج به مالك في الموطأ.[4]

و. القياس: والمصالح المرسلة والاستحسان : كان الإمام مال يأخذ بالقياس ، فكلمة القياس عنده تشمل القياس الاصطلاحي الذي هو إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر منصوص على حكمه لاشتراكهما في وصف علة الحكم ،والقياس في الشريعة مساواة الفرع للأصل[5].

والاستحسان ترجيح حكم المصلحة الجزئية على حكم القياس ، فلو كان القياس يقتضي إلحاق حكم غير منصوص عليه بحكم معين ،والمصلحة المرسلة توجب غير ذالك يحكم بها ويسميها الاستحسان وهذا هو الاستحسان الاصطلاحي ولكنه يعممه في كل مصلحة ،فالاستحسان عنده هو حكم المصلحة حيث لا نص سواء أكان في الموضوع قياس أم لم يكن.[6]

---

[1] روابح شهرة، المرجع السابق، ص50.

[2] محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، ص399.

[3] روابح شهرة، المرجع السابق، ص50.

[4] المرجع نفسه، ص50.

[5] المرجع نفسه، ص51.

[6] -محمد أبو زهرة: المرجع السابق،401.

ز. **سد الذرائع** : جمع ذريعة وهي الوسيلة ، وهي التضرع بفعل جائز إلى عمل غير جائز ، قد أكثر مالك إكثارا شديدا من العمل بسد الذرائع.[1]

ح. **العرف** :هو ما استقر في النفوس من جهة العقول ، وطلقته الطباع السليمة بالقبول حيث تخضع ألفاظ النصوص للمفاهيم التي يشرحها عرف العصر الذي قيلت فيه تلك النصوص.[2]

المطلب الثالث: أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي:

أ–مكانة المدينة المنورة في نفوس المسلمين.

شخصية الإمام مالك التي كانت مثلا للحفظ والاتقان والفقه والاجتهاد وكونه من أتباع التابعين وتأثر المغارب به، فضل علم المدينة وتميز أصول مالك واعتماد الحديث والأثر والتعليل والرأي والقياس، وكثرة الحركات الخارجية والفرق الكلامية والخلافات عند مذهب أبي حنيفة، فتقر أهل المغرب منه واعتمدوا الكتاب والسنة.

تولي فقهاء المالكية القضاء والفتية ،فكان تولي سحنون صاحب المدونة للقضاء الأثر البالغ في سيادة المذهب في المغرب لما اشتهر عنه الصرامة في الحق وعدم الخوف من السلطان ونصرة المظلوم وكان لا يولي القضاء إلا من كان مالكيا وبذلك أصبحت أكثرها على مذهب أهل المدينة.[3]

عايش المذهب المالكي في المغرب الأوسط عدة دول:

الرستمية والإدريسية والأغلبية ثم العبيدية ثم الصنهاجية ثم الحمادية والمرابطين والموحدية.

الدولة الرستمية : خارجية في عقيدتها إباضية في فقهها لكنها سمحت للمذهب المالكي بالانتشار ولو بنسبة معينة ليس رغبة في المالكية ولكن حفاظا على جمع قلوب علمائهم وعامتهم على هذه الدولة وتجنبا للصدامات والثورات ضدها ، ومن أبرز العلماء نجد : أبو الوليد مروان المسيلي وعلي الميلي المغربي.[4]

---

[1] روابح شهرة: المرجع السابق، ص51.

[2] المرجع: نفسه، ص52

[3] الياس بن عمراوي، **أعلام المذهب المالكي في الجزائر ودورهم في تأسيس المرجعية**، جامعة الأمير عبد القادر– قسنطينة، ص ص 13-15.

[4] المرجع نفسه، ص ص 15-18.

الدولة الإدريسية : أما المناطق التي كانت تحت حكم الأدارسة (172 هـ - 311 هـ) فقد كانت مالكية[1] ، فبعد أن اطمأن ادريس الأول على تدعيم أركان دولته قضى على بقايا اليهودية والنصرانية والمجوسية وناهض الخوارج والمعتزلة ، وجمع الناس على عقيدة السلف واقتصر على مذهب مالك وجاءهم بالموطأ ونشره ، وكان يقول أنه أحق بإتباع مذهب مالك الذي دعم والده عبد الله الكامل وافتاءه بخلع الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور ،وصحة البيعة لم النفس الزكية أخ ادريس وما لحق مالك من محنة بسبب ذالك ، فانتشر المذهب المالكي في المغربين الأقصى والأوسط.[2]

الدولة الأغلبية : رغم تبنيها للمذهب الحنفي لكن ظلت المذهب المالكي منتشرا وذالك لمكانة تلاميذ المدرسة المالكية من الجاه والحرمة والتقدير عند الشعب مثل أبي القاسم الزواوي ، فاجتمع المذهبان معا في الدولة لكن العلاقة سادها الخلاف والصراع مشرا والتقدير عند اللهما في الدولة وتفاقم بين الحاكم والمحكوم حتى بالغ الولاة في البطش لمخالفيهم لكن المالكية تصلبوا في التمسك بموقفهم إلى النهاية.[3]

الدولة العبيدية : (290 -361 هـ) مع مجيئ الدولة العبيدية وقضائها على الدول السابقة تعرضت المذاهب السنية للاضطهاد ،ولكن العلماء المالكية لم يمعنهم ذالك من مناظرة الشيعيين والتبرؤ من أقوالهم في حق الصحابة وحتى الأمر بقتلهم لعبد الله الشيعي ، فجر ذالك عليهم الويلات والقتل مثل ما حدث لابن بوذون وابن هذيل ،ولعل نود العلماء وبقائهم بين ظهراني السكان زاد من تمسك أهل إفريقية بالمذهب وكانوا عونا لهم[4] ، إلى أن أعلن حماد بن بلكين رفض عقائد الشيعة والتمسك بمذهب أهل السنة ،ثم انفصال المعز ابن باديس عن الدولة الفاطمية واستقلاله بالمغرب العربي وحمل الناس على مذهب الإمام مالك ورفض غيره.[5]

الدولة المرابطية : بالغ المرابطون في الاعتماد على المذهب المالكي والتمسك به دون غيره ، واعتمد الفقهاء المغاربة في هذا العصر على مؤلفاتهم في المذهب وفي وظائف الفتوى والتدريس و القضاء.[6]

---

[1] المرجع نفسه، ص ص 15-18.

[2] عبد الرحمن ابن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر، ج1، مكتبة الشركة الجزائرية –الجزائر، ط2،1965، ص ص251-252.

[3] عبد الحمن ابن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ص ص 268-269.

[4] الياس بن عمراوي، المرجع السابق، ص21.

[5] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ص340.

[6] عمر الجيدي، المرجع السابق، ص40.

الدولة الموحدية : (515 – 668 د) مع قيام دولة الموحدين نبذوا مذهب مالك ودعو إلى الاجتهاد والتمسك بظاهر النصوص فأدخلوا المذهب الأشعري ،لكن ذالك لم يمنع العلماء المالكية من الحفاظ على شموخ المذهب.[1]

وفي الختام ومن خلال ما سبق نستنتج أن المذهب المالكي رغم النكابات والمحاربات التي تعرض لها مع بعض الدويلات السابقة إلا أنه استعاد مكانته في قلوب المغاربة حتى مع قيام الدولة العثمانية التي كانت حنفية وهذا ما سنتطرق إليه في المطلب الثاني.

المبحث الثالث: أسباب توجه العلماء:

المطلب الاول: الاهتمام بالتدريس والتأليف:

كان التدريس أقل المناصب تنافسا بين العلماء باعتبارها من الوظائف العامة والتي تخضع وترتبط بالوظائف الأخرى مثل الإمامة والخطابة والفتيا ويعين المدرس من طرف الباشا أو من ينوبه ، وينقسم المدرسون إلى صنفين معلموا المدن ومعلموا الأرياف والفرق بينهما في التصنيف والدرجة ،فمن يدرس الشباب هو أستاذ وشيخ ومن يدرس الفتيان هو معلم أو مدرس ومن يدرس الأطفال فهو مؤدب والذي يختار من سكان الحي بالمدن ، في حين يقوم سكان الريف والدوار باختيار المؤدب ،ويختار المدرس من طرف شيخ القبيلة ،كما وجد المعلمون الزائرون الذين لا يتقاضون أجرا مثل الورثيلاني حينما يزور بجاية كل عام خلال شهر رمضان ،وهناك الكثير ممن اشتهروا بالتدريس وفضلوه على باقي الوظائف[2] مثل أحمد البوني وعلي الكماد ومحمد السعيد قدورة والسعيد المقري وغيرهم ، وقد يشتهر المدرسون في وقت واحد ويتنفسون فيما بينهم فينتج عن ذالك حركة تعليمية مفيدة ويجد الطلاب مجالا للاختيار والحكم على أساتذتهم ، فقد كان في الجامع الكبير بالعاصمة حوالي 19 أستاذ أو مدرس ،وعرفت مراكز التعليم في معسكر أواخر القرن الثامن عشر حركة نشيطة ،واجتمع في قسنطينة أساتذة مثل عبد القادر الراشدي و أحمد العباسي القاضي المالكي ،ومن أشهر المدرسين من غير المدن نحسن القماري بوادي سوف ومحمد

[1] الياس بن عمراوي، المرجع السابق، ص ص 21-25.

[2] مختار مخفي **الدور السياسي والاجتماعي لعلماء الجزائر خلال العهد العثماني**(1518م/1830م)، مجلة التاريخ السنة العاشرة العدد 37، سبتمبر2017، ص17.

بن عبد الكريم في توات ، وقد كان التعليم عند بعض رجال التصوف خصوصا في الريف نوعا من أنواع العبادة والجهاد.[1]

كما اهتم علماء المالكية بحركة التأليف فلا تكاد تجد عالما إلا وله مصنفات عديدة في شتى المجالات ولم تمنعهم وظائفهم من الكتابة والنسخ سواء من العلماء نفسهم أو بتشجيع من العثمانيين في بعض الفترات مثل الصالح باي الذي شجع الطلبة والكتبة[2] ،وممن اشتهر بالتأليف نجد العالم أبو راس الناصري أحمد المقري ، عبد الكريم الفكون ،أحمد البوني ، ابن حمدوش وقدورة ، وكان بعضهم ألفها في الجزائر والبعض خارجها الملائمة جو التأليف في المهجرة[3] ،كما للأحداث التي عرفتها الجزائر العثمانية نصيب من تأليف هؤلاء العلماء سواء بإعاز ذاتي في إطار تخليد وتمجيد البطولات أو بإعاز من الحكام مثل كتاب عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبو راس الناصري شرح فيها قصيدة عن فتح وهران عندما كان عائدا من الحج ، ويعد الكتاب مصدرا أساسيا في ما يتعلق بتأسيس المدن وأنساب القبائل ومراحل فتح وهران.[4]

المطلب الثاني: الدعوة إلى الجهاد:

لقد كان العامل الأساسي الذي يربط العثمانيين بالأهالي الجزائريين هو الدين الإسلامي والجهاد من أجله نظرا إلى الاختلاف الكبير في اللغة والتقاليد وغيرها ، فجعل هذا العامل المشترك العثمانيين يبحثون عن حلفاء لهم في الجزائر ولعل فئة العلماء كانت هي الأقرب إلى هذا الطرح[5] لأنهم رأو فيهم الفاتحين الجدد والقوة الإسلامية المنقذة للبلاد ضد التواجد الإسباني على سواحل الجزائر [6] ، وفي المقابل كان العلماء وخاصة المرابطين يمثلون السلطة القوية والقادرة على حماية الأهالي فكان دورها هو تجنيد الأتباع وتنظيم المقاومة وإثارة الحماس باسم الجهاد في سبيل الله ضد الاسبان وكانوا الحزب الديني الذي يحث دائما على حمل السلاح ضد العدوان الصليبي من خلال الفتاوى وكذلك المشاركة في الجهاد [7]، ولعل من العلماء الصلحاء الذين لعبوا دورا في الجهاد ضد الاسبان وكانوا محل احترام

---

[1] أبو القاسم سعد الله **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج01'ص ص 325-326.

[2] مختار مخفي المرجع نفسه، ص17.

[3] أبو القاسم سعد الله المرجع نفسه، ص294.

[4] مختار مخفي المرجع نفسه، ص17.

[5] أبو القاسم سعدالله **تاريخ الجزائر الثقافي**، ص ص 190-191.

[6] العلماء والسلطة العثمانية، ص88.

[7] مختار مخفي، المرجع السابق، ص21.

العثمانيين هو محمد بن علي المجاجي المعروف بابن بهلول الذي جعل زاويته مركزا للمجاهدين ، ومنهم من كان يحث على الجهاد وتحرير وهران في قصائده مثل ابن قوجيل الذي قال لأحمد باشا حين تولى الحكم سنة 1107 هـ.

ولعل من القصص التي تعطي نموذجا في الجهاد بأنفسهم وليس عن طريق الكلام والشعر فقط هي ما قام به محمود باي الكبير في معسكر حيث استعمل الطلب في الجهاد ضد الاسبان وأمر بعض الطلبة بعد تسليحهم وتمويلهم بالتوجه إلى النواحي الغربية من ولايته لتجنيد زملائهم وترغيبهم في الجهاد وقد نجحت البعثة فعلا وعادوا بنحو أربع مائة طالب فسلحهم ودفعهم للحرب ومع مرور الوقت زاد عددهم وأصبحوا يشكلون فرقة عسكرية علمية ، وكان الباي يرسل إليهم المؤونة والسلاح كل شهر ،ولا شك وجود العلماء على رأس الجيش المحارب كان يشجع الجنود العامة على الإرتماء في المعارك بكل حماس وكانهذا من أهداف الباي محمد الكبير الرئيسية ، فتحرير وهران الثاني والأخير ،كان حينئذ عن طريق جيش نامي أو ما يعرف بالحرب الشعبية.[1]

المطلب الثالث: الوساطة بين الحاكم والمحكوم:

لقد اكتسى دور الوساطة الذي أسندته السلطة العثمانية للعلماء والمرابطين أهمية بالغة في التخفيف من التوتر والثورات ضدها والتي جاءت في البداية من أصحاب المصالح السياسية والاقتصادية في البلاد ،وإذ أن تحالف العثمانيين والعلماء قد أضر بمصالح بعض الولاة والأمراء والأعيان فتمردوا أو ثاروا بالامتناع عن دفع الضرائب أو قطع الخطبة باسم السلطان ،وقد كانت سياسة العثمانيين هي الحكم الغير مباشر للبلاد ، فأعفت القبائل التي تعاملت معها و أيدتها من دفع الضرائب (زكذالك العلماء والمرابطين) وسميت بقبائل المخزن ومنحتها سلطات واسعة كقوة عسكرية عند الحاجة ،أما القبائل التي لم تخضع إلا بالقوة ففرضت عليها الضرائب وسميت بالرعية وعوملت معاملة قاسية.[2]

ومن أمثلة وساطة العلماء بين السلطة والأهالي ما قام به عبد الكريم الفكون حين وجهه أهل البلد لما قاموا على واليها إلى المحروصة الجزائر دار سلطانتها وصخبه أبو محمد عبد اللطيف المسبح ،فلما انصرفوا خلعوا البيعة وصادفهم خبر ذالك بعد استقرارهم بدار السلطنة ، فأتاهم خبر ما أحدث أهل البلدة بعدهم لنهب الدور وخلع رقبة البيعة من أعناقهم ففر الفكون والمسبح قاصدين زواوة فبعث في أثرهم وسجنهم ثم أطلق سبيلهم.[3]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص ص 207-208.

[2] عبد الكريم الفكون، المصدر السابق ص 48-50.

[3] عبد الكريم الفكون، المرجع نفسه ص 48-50.

وخرج مرة أخرى مع عبد اللطيف المسبح ومزوار الشرفاء وقائد جيش البلد فمسكهم الأعراب المتغلبة على البلد في بعض مالهم تحت يد السلطة، ويشير أبو القاسم سعد الله في التهميش أن العلماء كانو يقومون بمهمات سياسية بإيعاز من السلطة.[1]

بالمقابل نلمس الاحترام الذي أبداه الحكام للعلماء مثل محمد بكداش الذي توجه برسالة إلى محمد الساسي البوني ملخصها أنه يقدره ويعرف مكانته في بلده ،كما أخبره بخطته السياسية والعسكرية وكلب منه التدخل لجلب طاعة الرعية ،ذلك أثناء محاولة الباشا القضاء على ثورة ابن الصخري فوافق البوني على التعاون شريطة العفو على أهل عنابة فوافق محمد بكداش ،وكذلك الأمر بالنسبة لأسرة الفك التي انتصرت للباشاوات أيام ثورة ابن الصخري ، وعند تمرد صالح باي وأثناء فتنة ابن الأحرش فاستحق رئيس أسرة الفكون ثناء الباشا وراسله بهذه العبارات :« العالم الأشهر .... العارف بجميع الفنون .... نستكثر خيرك من شأن وقوفك وصيانتك للبلاد ونصحك وحمايتك للعباد .... ثم نلتمس منكم الدعاء الصالح ....» ،كما أرسل إلى علماء قسنطينة يأمرهم بالوقوف والالتفاف حول الشيخ الفكون [2].

لكن هذا الاحترام كان مصطنعا في الغالب وحتى بالنسبة للموالين والمتحالفين مع الحكام فلا يراعون فيهم الخدمات التي قدموها إليهم من ذالك أن الداي عثمان رفض وساطة محمد بن عبد الكريم الفكون لصالح ابن عمه الفقيه الذي حبسه الداي لتدخله في إطلاق سراح المساجين.[3]

منها كذلك دور مؤسسة أوقاف الجامع الكبير المالكية : تعتبر أوقاف الجامع الكبير وبعض الزوايا بالعاصمة وأوقاف الجامع الكبير في قسنطينة ومعسكر وتلمسان والمدية من المؤسسات المالكية الغنية 4، ويشرف عليها المفتي المالكي ووكلاء يتقاسمون الإشراف ،فواحد يتولى أوقاف المؤذنين وآخر بأوقاف الحزبين والثالث تعود إليه المراقبة العامة وعرف بالوكيل الرئيسي ، وكانت عائلة قدروة قد حازت أوقاف العاصمة لمدة طويلة فاستطاع السعيد قدور بناء زاوية ومدرسة من فائض أوقاف الجامع الكبير ، ومن الزوايا التي كان لها دخل نجد زاوية دادا وزاوية أحمد بن عبد الله الجزائري وزاوية عبد الرحمان الثعالبي التي شاعت حتى في تونس5 ، ويستفيد من مردود الأوقاف عدد كبير

---

[1] المرجع نفسه، ص ص 48-50.

[2] أبو القاسم سعدالله **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ص ص 412-416.

[3] رشيدة شدري معمر، **العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671-1830)**، ص107.

[4] أبو القاسم سعدالله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ص243.

[5] أبو القاسم سعدالله، **تاريخ الجزائر الثقافي**،ج1،ص243.

من الأشخاص العاملين على المساجد والكتاتيب المالكية بالإضافة إلى الفقراء وطلبة العلم وكانت مؤسسة الجامع الكبير تشترك مع المؤسسات الوقفية الأخرى مثل أوقاف مكة والمدينة وأوقاف الأندلس.2

ومن خلال ما سبق تجلى لدينا الدور الذي كان يلعبه العلماء المالكية في الجزائر خلال العهد العثماني على الصعيد السياسي والثقافي والاجتماعي باعتبارهم الفئة الأكثر نفوذا بعد الحكام والأكثر تأثيرا في الأهالي إلى جانب إخوانهم العلماء من المذهب الحنفي فشكلوا بذلك قوة وتعايشوا فيما بينهم في مختلف المجالات.

الفصل الثاني

دور علماء المغاربة في نشر المذهب المالكي

المبحث الأول:أهم فقهاء المالكية في بلاد المغرب

المبحث الثاني: أهم المراكز العلمية وجهودهم فيها

المبحث الثالث: جهود العلماء

المبحث الأول: أهم فقهاء المالكية في بلاد المغرب.

المطلب الأول: أهم الفقهاء.

إبراهيم ابن البردون: توفي سنة 297 هـ رحمه الله، فقيه بارع في العلم قوي في الجدل وإقامة الحجة على المخالفين، وهو واحد من تلامذة الحداد[1]، الذي سنترجم له لاحقا، وصفه المالكي في كتابه رياض النفوس فقال: "أنه من أهل الدين والورع[2]، سمع من جماعة من رجال سحن، فمنهم عيسى بن مسكين، ويحي بن عمر وسعيد بن إسحاق قتل على يد القاضي الشيعي المروذي ، في أيام عبيد الله الشيعي" [3]

– **أبو بكر بن هذيل**: توفي سنة 297 هـ رحمه الله، فقيه مالكي، كان بليغة قتل على يد الشيعة هو الاخر، وذلك حين امتحن في سب الصحابة، داخل دار النحر وعندما رفض ذلك، قاموا بقتله بطريقة بشعة جدا

أبو جعفر محمد بن محمد بن خيرون المعافري الأندلسي: توفي سنة 301هـ رحمه الله كان فقيها صالحا عابدأ، له رحلة إلى العراق، وله بالقيروان مسجد مشهور سمع ي به للقاضي المروذي، فأمر بقتله، حيث طلب من العبيد السودان بالقفز على ظهره، إلى أن توفي، ولم تمر إلا أشهر حتى قتل المروذي بنفس الطريقة .[4]

– **عروس المؤذن**: توفي سنة 307 هـ رحمه الله، كان زاهدأ يعيش من عمل يده، كان يؤذن في مسجد عباس الفقيه صاحب سحنون، قتله الشيعة لما شهد عليه بعضهم أنه لم يقل في الأذان " حي على خير العمل"، حيث تم التنكيل به في القيروان [5]

أبو محمد سعيد بن حكمون: توفي سنة 307 هـ رحمه الله، كان شيخاً زاهد فاض''، عاقلا من أهل القيروان، له رحلة سمع فيها من علماء المشرق، كما يعد من رجال محمد بن سحنون.

– **أبو حبيب سعيد بن محمد بن سحنون**: توفي سنة 310 هـ رحمه الله، كان رجلا صالحا ورعا من الزهاد المجتهدين، سمع من أبيه محمد بن سحنون دفن إلى جانب قبره، بمقبرة باب نافع

---

[1]–سعد زغلول: المرجع السابق، ص142.

[2]–المالكي، المصدر السابق، ج2، ص،47.

[3] –نفسه، ص47.

[4] –سعد زغلول: المجع السابق، ص142.

[5] – الدباغ، معالم الايمان، ج3، ص5.

– **أبو زيد عبد الرحمان بن عبد الله القيسي**: توفي سنة 311هـ رحمه الله، يعد من أهل العبادة، في الخشية، و الزهد والتهجد، روي عنه الكثير من العلماء، أمثال ابن اللباد وغيره من العلماء .[1]

– **أبو عبد الله بن القطانية المتعبد**: توفي سنة 311هـ رحمه الله كان عالم زاهد، ورعا، روى عنه الكثير من العلماء [2]

وابو مصعب جبلة بن حمود بن عبد الرحمن الصدفي: توفي سنة 299 هـ رحمه الله سمع من سحنون أخذ عنه المدونة والموطأ والمختلطة، كان يسكن الرباط، ثم نزل القيروان ما دخل الفاطميون إفريقية فقال: "كنا نحرص عدوة بيننا وبينه البحر و الآن العدو بساحتنا وهو عبد الله الشيعي وكان يجاهر بالعداء للشيعة .[3]

– **أبو سليمان ربيع بن سلمان بن عطاء الله القطان**: لعب دورا هاما في نشر المذهب المالكي والعلوم الشرعية، فقد ذكر الداودي أن ربيع القطان، كان عالما بالقرآن تفسيرا ومعنى، ولقد سمع خلال رحلته إلى المشرق لعدد من علماء القراءات، إلى جانب سماعه لعلماء الحديث و الفقه هناك | أبو جعفر أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي القيرواني: ولد سنة 234 هـ، وكان تاريخ وفاته سنة هـ رحمه الله الفقيه الإمام العالم سمع من ابن عبدوس وغيره، وسمع منه أبو العرب تميم وعلماء آخرين كان عالما بالوثائق وله فيه عشرة أجزاء، وله في إحكام القرآن عشرة أجزاء وكتاب " مواقيت الصلاة " [4]

– **أبو العباس إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن بطريقة**: توفي سنة 305 هـ رحمه الله قاضى طرابلس، فقيه ثقة، من رجال سحنون، ولي قضاء الزاب ثم طرابلس أيام زيادة الله وكان عاد، ضربه محمد المروذي هو وبن الطرزي تم قتل من طرف لصوص عند جامع القيروان .[5]

– **أبو القاسم محمد بن محمد بن خالد القيسي المعروف بالطرزي**: توفي سنة 317هـ رحمه الله، قاضي زاهد، سمع من سحنون بن سعيد كثيرا، ولاه بن مسكين على مظالم القيروان، وقد كانت له محنة، بتعرضه للضرب بالسياط عند جامع القيروان ولشدة فقره عند وفاته لم يوجد عنده ما يكفن به، فكفنه عبد الحميد السرتي *.[6]

---

[1] الدباغ: المرجع السابق، ج3، ص6.
[2] المالكي: المصدر السابق، ج2، ص175.
[3] الخنشي: المصدر السابق، ص23.
[4] الخنشي: نفسه، ص224.
[5] الخنشي: نفسه، ص167.
[6] الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص10.

الحسن ابن محمد القلانسي الفقير المتعبد: توفي سنة 327 هـ رحمه الله دفن في الملوية، هو معلم أبي الحسن الدباغ له إدراك سمع من محمد بن يحي بن سلام وأبيه يحي ويحي بن عمر، قال أبو الحسن علي بن محمد الدباغ أنشدني الحسن بن محمد.[1]

– **أبو إسحاق إبراهيم بن محمد القصري المؤدب الزاهد:** رحمه الله هو إبراهيم بن الحسن بن محمد بن عيسى بن سفيان بن سوادة التميمي من أهل العلم والقرآن، والكد والجد والاجتهاد، كان حسن العبادة بال رؤيا له حزن وخشية وورع. [2]

– **أبو الفضل عباس ابن عيسى بن محمد ابن عيسى الممسي:** توفي سنة 333**هـ** رحمه الله سمع من جبلة بن حمود وغيره، وأخذ عنه أبو محمد بن أبي زيد وجماعة من المشرق والمغرب،خرج إلى الحج سنة هـ، قال عنه الشيخ السبائي "حفظ القرآن وهو ابن ثمان سنين وحفظ الموطأ وهو ابن خمسة عشرة سنة" وقال أيضا: "جمع الفقه، بارع، وورع، وحسن الإشارة، والهدى والسكينة " له مؤلفات كثيرة منها كتاب في تحريم الخمر"، قتل في حرب الشيعة حين خروج أبي يزيد مخلد بن كيداد عليهم رفقة عدد أخر من الفقهاء .[3]

– **خلف بن عمر المعروف بابن هشام:** توفي سنة 371 هـ، وقيل سنة 372**هـ** رحمه الله من أكبر فقهاء المالكية في عصره، من القيروان، كان فاضة، صالحا من أهل الدين والورع *.[4]

محمد بن أحمد ابن تميم بن تمام ابن تميم التميمي المعروف بأبي العرب، الفقيه المؤرخ: ولد سنة 250 هـ وتوفي سنة 333 هـ/ 944 م رحمه الله جده تمام من أمراء إفريقية فقيه حافظ محدث ومؤرخ، شيوخه أكثر من 20 عالم، أخذ عنه الكثير، وله عدة تأليف " بلغت 350 ورقة بخط اليد منها طبقات علماء إفريقية، مسند حديث مالك، فضائل مالك وسحنون، مناقب العرب وغيرها، قتل بعد اشتراكه في الخروج على بني عبيد أيام ثورة أبي يزيد .[5]

أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد الخشني: تفقه بالقيروان على يد أحمد بن نصر وأبي بكر بن اللباد وأبي الفضل عباس الممسي وغيرهم من العلماء.[6]

---

[1] الدباغ: نفسه، ص18.
[2] الدباغ: نفسه، ص39.
[3] الخنشي: المصدر السابق، ص46.
[4] الخنشي: المصدر ص42.
[5] الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص36.
[6] الدباغ: نفسه، ص81.

مروان بن نصر بن حبيب بن نصر بن مروان بن علقمة الأنصاري العابد أبو عبد الملك: توفي سنة 340 هـ رحمه الله، يعد من أهل الاجتهاد والعبادة والزهد، له إجابات، حلي بالحق وتخلي عن الخلق وتحلي بالصدق، لما توفي صلي عليه القاضي عبد الله بن هاشم ودفن في باب سلم وقبره معروف.[1]

.أبو حفص عمر بن محمد بن مسرور العسال الفقيه: توفي سنة 343 هـ رحمه الله سمع من أبيه ومن أبي بكر اللباد، كان عالما خيرا، فض، فقيها، ثقة، جيد الحفظ مفتي أهل زمانه وكان الشيخ أبو إسحاق السبائي يحبه، و يعظمه، و يقوم له دون غيره.[2]

أبو بكر محمد بن مسعود التميمي: توفي سنة 344 هـ رحمه الله إمام جامع القيروان سمع من جبلة بن حمود وغيره رحل إلى المشرق، وسمع من جعفر بن محمد بن عبد السلام، البزار وغيره، وسمع منه جماعة من الناس، كان فقيها عابدة، كريم الأخلاق، متواضع، طلب العلم وجود القراءات، وكتب الحديث، عاش حوالي 76 سنة ولما توفي دفن باب سلم.

أبو بكر محمد بن الفتح المعروف بان الصواف: توفي سنة 344 هـ رحمه الله سمع من فرات بن محمد وأبي الفضل السوسي وغيرهما، كان على هدى وسنة، مبتعدة عن أهل البدع، فاضة

صاحا حافظا، بجودة للقرآن، حسن اللفظ به كثيرة، أم الناس بجامع القيروان، عند وفاته صلى عليه عبد الله بن هاشم القاضي ودفن بباب سلم .[3]

ابو جعفر أحمد بن إسماعيل الخطيب: إمام جامع القيروان توفي سنة 345 هـ رحمه الله كان فقيها فاضلا، ورجلا صالحا، في وفاته صلى عليه عبد الله بن هاشم ودفن في باب أبي الربيع .[4]

أبو محمد عبد الله ابن قاسم بن المسرور التجيني المعروف بابن الحجام: توفي سنة 346 هـ رحمه الله سمع من محمد بن سحنون وعيسى بن مسكين وأحمد بن سليمان وغيرهم، كان عالم صالحا، ورعة فضلا، مجانبة لأهل

[1] الدباغ: نفسه، ص48.
[2] الدباغ: نفسه، ص51.
[3] الحنشي: نفسه، ص-ص52،55.
[4] الدباغ: المصدر السابق، ص20.

البدع، امتحن في شبيبته على يد القاضي الفاطمي محمد بن عمر المروذي، ثلاث سنين وأراد قتله فنجاه الله منه، وذلك لصرامته في الحق .[1]

أبو محمد عبد الله بن إسحاق ابن التبان: توفي سنة 371 هـ رحمه الله إمام الفقهاء الراسخين درس المدونة نحو ألف مرة من أحفظ الناس بالقرآن، متفننين في علومه، وعلم الكلام، مع فصاحة اللسان، من أشد الناس عداوة لبني عبيد، ألف كتابا في النوازل.[2]

أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكي: رحمه الله فقيه مؤرخ وهو صاحب كتاب رياض النفوس المشهور بكتاب المالكي في طبقات علماء إفريقية وزهادها، كان فقيها فاضة ثقة صاحب أبا بكر بن عبد الرحمن كان ممن بقي بالقيروان من بعض العلماء بعد خراب[3]ها .

أبو سعيد محمد بن محمد سحنون بن سعيد التنوخي: توفي سنة 307 هـ رحمه الله ودفن بمقبرة باب نافع إلى جانب أبيه كان ورعا فاض، جليل القدر، لم يسمع من رجال أبيه، سمع من رجال جده.[4]

ابو حفص عمر القمودي: رحمه الله قيرواني الأصل، نزل بصفاقس، كان فقيها أديبا، مفتية من اخفاظ المدونة، والقائمين عليها، ومن خفاظ الشعر، أخذ عن أبي بكر بن عبد الرحمن، وأبي عمران الفاسي وصاحب أبا القاسم السيوري، وقال لما ودعه الفقيه أبو حفص القمودي.[5]

المطلب الثاني: أهم المشائخ في البلاد:

الفقيه الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني النفزاوي: المتوفى سنة 386هرحمه الله ودفن بالقيروان، هو فقيه مالكي، ولد بالقيروان سنة 310هـ، كان إمام المالكية في عصره ودافع عن مذهبه بقوة، وهو أول من خط أصول الفقه في جلاء و وضوح، كان يلقب بقطب المذهب، و مالك الأصغر، قال عنه القاضي عياض "ملا البلاد من توا ليفه، وله تصانيف أشهرها – الرسالة – وهي خلاصة الفقه المالكي، انتهى من تأليفها سنة 327 هـ ".[6]

[1] الخنشي: المصدر السابق، ص45.
[2] الدباغ: المصدر السابق، ص88.
[3] الدباغ: نفسه، ص180.
[4] الدباغ: نفسه، ص201.
[5] الخنشي: المصدر السابق،55.
[6] الدباغ: المصدر السابق، ص،201.

أبو بكر محمد بن محمد اللباد: رحمه الله توفي سنة 333 م رحمه الله، سمع من يحي بن عمر وابن طالب القاضي، وحماس بن مروان والكثير من العلماء، كان فقيها فاضلا، جليل القدر، عالما صالحا، إماما في الدين، يخشى ربه.

أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني المعروف بابن حداد: توفي سنة 302**ه** رحمه الله سمع من سحنون، كان فقيها صالحا فصيحة بارع في المناظرة وال رد على الفرق، مقدمة في ذلك، له مقامات مشهورة، حتى شبهه أهل القيروان بأحمد بن حنبل أيام محنته، ناظر أبي عبد الله الشيعي وله معه من المناظرات العديدة .[1]

المبحث الثاني: أهم المراكز العلمية التي نشط بها العلماء وجهودهم.

المطلب الأول: المساجد والمدارس والمكتبات.

يعتبر المسجد أقدم المؤسسات العلمية في الإسلام، فالتعليم يرتبط ارتباطا وثيقا به ، ولا سيما إذا كان الأمر يتعلق بأمر من أمور الدين، فالمسجد قبل كل شيء مكان للعبادة، ولكنه كان إلى جانب ذلك معهدا لتعليم القرآن الكريم وتفهم آياته وأحكامه، ولدراسة الحديث النبوي الشريف كذلك[2]، فقد ضم المسجد الحركة الثقافية بين جنباته في صدر الإسلام .

وللكلام عن المساجد المالكية في مصر والشام خلال العصر المملوكي، ارتأينا التطرق إليها بذكر مساجد كل مدينة[3] من إقليم مصر والشام على حدة كالآتي :

أولا: مساجد المالكية في مصر: ونذكرها كالتالي:

أ**– مساجد المالكية في الإسكندرية:** اشتملت هذه المدينة على سبعة مساجد، أولها جامع العطارين[4]، تصدر[5] به أبو الفضل يوسف بن عبد المعطي (ت 642هـ /1244م)[6]، وكذلك نشط فيه وأفاد إمام وخطاب

---

[1] المالكي: المصدر السابق، ص152.

[2] المقريزي، **الخطط**، ج02، ص02، ص326، أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د، ت، ط، ج02، ص 52-54.

[3] سيكون ذكر المدن ترتيبيا.

[4] جدد هذا الجامع سنة 473هـ-1086م، الوزير بدرالدين عبد الله الجمالي، وسمي بهذا الاسم لوجوده في سوق العطارين، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1969، ج02، ص450.

[5] **التصدير**: من الصدارة أي أن صاحبها كانت له الصدارة في المسجد.

[6] الحسيني عز الدين، **صلة التكملة لوفيات النقلة**، ضبط النص وعلق عليه أبو يحي عبد الله الكندري، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1426،01هـ/2005م، ص58.

وتدريسا، القاضي ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور بن المغير (ت 683هـ /1284م)، الذي كانت له اليد الطولى في علم البيان والإنشاء.[1]

والجامع الثاني هو الجامع الغربية، أجل المساجد بالإسكندرية، وأعظمها قدرا، نشط فيه اثنان من أعلام المالكية خلال حقبة الدراسة، أو ما قاضي الإسكندرية ناصر الدين بن المنير الآنف الذكر، ودلنا على ذلك نسخة التكليف بالخطابة للقاضي محمد بن الطناحي سنة 804هـ/1401م، وجاء فيها:" ... والجامع الغربي فهو أجل جوامع النغر الإسكندري قدرا وأعظمها في الأقطار صيتا... يحضر الجمعة فيه أهل الشرق والغرب... فليرق منبره رقي من خطبه المنير لخطبته وعلم علو مقامه فقابله بعلو رتبته ويشنف الأسماع بوعظه، ويشج القلوب بلفظه، ويحيي العقول بتذكيره، ويبك العيون بتحذيره، وليعد للجامع ما تعوده من الإسعاد ويجدد ما درس من معالم خطابته حق يقال هذا ابن المنير قد عاد... "،[2] ففي هذا النص دلالة واضحة على أن ابن المنير المالكي قد صال وجال على منبر هذا الجامع، فشفت خطبه وفصاحته آذان السامعين، وشجت ألفاظه وعباراته المنتقاة قلوب المصلين، حتى ذكر المؤرخون أكما سجلت في ديوان خاص[3]، لتصبح مرجعا للخطباء.

والثاني، هو علي بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الوهاب بن أبي بكر بن يفتح الله السكندري (ت862هـ/1457م)، خطب بهذا الجامع من سنة 833هـ/1429م إلى غاية وفاته، كما تصدر فيه لإقراء الطلبة، وانتفعوا به، لدرجة أن السخاوي قال عنه:"... فكان غالب قراء البلد من تلامذته ...[4]

والمسجد الثالث بالإسكندرية كذلك، ينسب لتاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري (ت 709هـ/1309م)[5]، والمتتبع للمصادر يجد أن الغالب على هذا العلم هو التصوف أكثر من الفقه، فكانت حلقات در سه تكتظ بالمستمعين المعجبين بإلقائه[6] ، ونرجح أن هذا المسجد اختص به المالكية دون غيرهم، نظرا لنسبته لأحد المالكية .

---

[1] السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، د، ت،ط،ج01،ص384.

[2] القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج11، ص411-412.

[3] ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1973،01م، ج01، ص149، ابن فرحون، المصدر السابق، ج01، ص245، الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج51، ص 136-137.

[4] السخاوي، **الضوء اللامع**، ج06، ص17.

[5] علي باشا مبارك، **الخطط التوفيقية لمدينة الإسكندرية**، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأداب ومطبعتها بالجماميز، مصر، عن طبعة بولاق 1889م،ص69-70.

[6] جمال الدين الشيال، **أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط01 ،1421هـ/2001م، ص221.

والمسجد الرابع هو للمقرئ المالكي علي بن عيسى بن موسى الاسكندري (ت694هـ/1294م)، وقد اختص بعلم القراءات إقراءا وصلاة فيه، إذ كان يصلي التراويح ختمة كل ليلة من رمضان وهذا طول أيام الشهر، وما جعلنا نجزم بأن هذا المسجد خاص به، هو صاحب كتاب "غاية النهاية في طبقات القراء"، حيث قال: "...له مسجد يؤم به، يقرئ ويؤدب..."[1]، وطالما أن الغالب على نسبته ونشاطه الإسكندرية، فإننا نرجح وجود هذا المسجد بها.

والمسجد الخامس، يعرف بمسجد قداح، ونرجح أنه مسجد للصلوات الخمس فقط، ولا تقام فيه صلاة الجمعة، كان فيه نشاط لأحد المالكية، وهو زين الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن أحمد المراكشي (ت717هـ/1317م)، ونستنتج من خلال ترجمته الواردة في المصادر أن نشاطه يتمثل في الإقراء لغلبة هذا التخصص عليه[2]، وهذا ما يؤهله ربما لإمامة الناس في الصلوات الخمس.

وأحصيت كذلك ثلاثة مساجد لم تذكر المصادر التاريخية اسمها ولا مكانا، ربما رجحها من خلال المعطيات من المساجد التي اختص بها المالكية دون غيرهم بالإسكندرية زمن الأيوبيين وبقي نشاطهم فيها حتى حقبة الدراسة لأن أئمتها مالكية، أحدها جامع أم به أبو المنصور ظافر بن طاهر الأزدي الإسكندراني، المطرز، المعروف بابن ش حم (ت 642هـ/1244م)[3]، وقد يكون هذا المسجد بالإسكندرية، نظرا لأن نشاطه كان ما، حيث أضيف إلى اسمه لفظ الاسكندراني.

ثانيا: المدارس المالكية في مصر والشام خلال العصر المملوكي(648هـ-923هـ/1250م-1517م):

عرفت مصر والشام المدارس[4] منذ العهد الفاطمية، حيث أنشئت بمصر ثلاثة خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وكان مركزها الإسكندرية، ومن ثم توسعت ظاهرة انتشارها مع بداية العصر الأيوبية، فقد سار صلاح الدين على نهج سيده نور الدين محمود الذي أقام المدارس في الشام لمحاربة المذهب الشيعي، ويمكن للمذاهب السنية، والتي ستكون السند الفكري للدولة، ثم اقتدى به أولاده وخلفاؤه من بعده، وتبعهم في ذلك سلاطين

[1] ابن الجزري الدمشقي، **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق: ج،بر جستراسر،دار الكتب العلمية،بيروت،ط2006،01م، ج01،ص495.

[2] البرزالي: **الوفيات**، ضبط وتعليق: أبو يحيى عبد الله الكندري، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط1426،01هـ/2005م،441-442.

[3] الذهبي،**تاريخ الإسلام**، ج47،ص121،الصفدي،الوافي بالوفيات، ج16،ص304.

[4] كان ظهور المساجد لأول مرة في القرن الرابع هجري، **التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن 5هـ حتى سقوط بغداد**، دار الوفاء،المنصورة،مصر،ط1408،02هـ/1988م.ص176.

المماليك وأمرائهم في بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرهما من أعمال مصر والشام[1]، وكان الغالب عليها الطابع المذهبي، حيث كانت تشهد نشاطا علميا للمذاهب الأربعة، فما هو نصيب المالكية من النشاط في هذه المدارس؟.

أولا: مدارس المالكية في مصر: نوردها كالآتي:

1- **مدارس المالكية في الإسكندرية:** عثرنا بما على خمسة مدارس نشط فيها علماء المالكية، هي:

1 – 1 – مدرسة أبي بكر الطرطوشي: وتنسب إلى مؤسسها شمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري (ت520هـ/1125م)، ويعرف بالطرطوشي، نسبة إلى طرطوش من بلاد الأندلس، وهو مالكي المذهب، طاف ببلاد المغرب والمشرق من أجل طلب العلم، ثم استقر بالإسكندرية، وتزوج بامرأة موسرة وهبت له دارا، فجعل بما مدرسته، وعلى الرغم من شهرة هذا الفقيه ومدرسته، إلا أنه مع انقضاء فترة حكم الفاطميين لا نجد ذكرا لتلك المدرسة، لا زمن الأيوبيين ولا زمن المماليك.

– 1 – المدرسة الحافظية (العوفية): كذلك تكشف لنا المصادر التاريخية عن مدرسة ثانية، أنشئت في الإسكندرية، وهي التي أنشأها الوزير رضوان بن الوخشي "للفقيه المالكي أبي طاهر بن عوف (ت 581هـ/1185م)، كما ذكرها المقريزي في حوادث سنة 532هـ/1137م دون ذكر اسمها فقال "وفيها بين الوزير رضوان المدرسة المعروفة في ثغر الإسكندرية، وجعل في تدريسها الفقيه أبا طاهر بن عوف[2]"، وقد عرفت المدرسة الحافظية باسم المدرسة العوفية"، نسبة إلى مدرسها، ويحدد القلقشندي موقع هذه المدرسة فيقول " : وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية بهذا النغر المحروسبشارع المحجة.

وتواصلت عملية التدريس كما خلال العهد الأيوبي، وهذا ما نلمسه من رواية المنذري عن أبي محمد عبد الوهاب بن أبي الطاهر إسماعيل بن مكي بن عوف (ت 595هـ /1198م) : " وولي التدريس بعد والده ، وكان من ثمرة تدريسه بما، تأليفه لكتاب" شرح التهذيب" لأبي سعيد البرادعي المعروف بالعوفية، حيث كان يقيده على دروسه التي يلقيها في هذه المدرسة ، كما استمر نشاطها العلمي خلال العصر المملوكي، حيث أعاد بما الدروس للطلبة الشيخ الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن أبي زكريا يحي بن محمد التجيبي (ت 663هـ/1264م).

---

[1] المقريزي، **الخطط**، ج03، ص437.

[2] المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج03، ص167، سعاد ماهر حمادة، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر،1973، ج02، ص166-167.

وقد يتبادر إلى الأذهان استفسار حول سبب بناء تلك المدرسة من طرف الخليفة الشيعي، ونجد جوابه فيما أورده المقريزي في ترجمته للوزير رضوان بن الوخشي حيث يقول: " وكان رضوان شتيا حسن الاعتقاد، فأخذ يهين حواشي الخليفة إذا حضروا إليه، ويقدح في مذهبه لأنه كان يا، وكان أخوه الأوحد إبراهيم إماميا"، فقد استطاع هذا الوزير أن يستصدر أمرا من الخليفة الفاطمي الحافظ الدين الله (386-411هـ/995-1020م) ببنائها.

3 – 1 – مدرسة الجزارة : بالإسكندرية، ذكرها صاحب " الضوء اللامع" في معرض حديثه عن عمر بن علي ابن عمر البحيري الخراشي الاسكندري المالكي، وقال بأنه تولى الإمامة بما قبل انتقاله إلى مكة المكرمة التي توفي بها سنة 873هـ/1468م".[1]

3**– مدارس المالكية في القاهرة:** عثرنا بما على أربع عشرة مدرسة، هي:

1 – 3 – المدرسة الصاحبية: ذكرها ابن عبد الظاهر في خططه فقال :" أنهما كانت قديما تعرف بدار الديباج وهي دار الوزير أبي الفرج يعقوب بن كلس[2]، وحسب رواية المقريزي فقد أنشأها أحد المالكية فيقول : " أنشأها صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر[3]"، وجعلها وقفا على أصحاب المذهب المالكي، وقد كان يدرس كما النحو كذلك ، ونستنتج أنما قد بنيت بالقاهرة، لأن ابن عبد الظاهر ألف كتابه حول خطط القاهرة، وهذا ما يتضح من اسم كتابه وكذا مضمونه .

وقد أطلعتنا المصادر على بعض المالكية الذين نشطوا العملية التعليمية في هذه المدرسة، فمن هؤلاء نذكر الفقيه أبا حفص عمر بن عبد الله بن صالح السبكي (ت669هـ /1270م)، حيث درس بهما على يد فقهاء مالكية مثل الشيخ الحافظ أبي الحسن علي بن المفضل المقدسي (ت613هـ /1216م)، وبالتالي فقد عملت هذه المدرسة على احتضان طلبة العلم المالكية وتخريجهم ليكونوا حلقات من سلسلة المذهب في مصر.

ومن المدرسين بهذه المدرسة المالكية الفقيه المغربي أبو الطاهر إسماعيل بن محمد (ت675هـ /1276م)، وكان من أعيان وأئمة المذهب المالكي بمصر، وأيضا المحدث المالكي محمد بن يحي بن علي بن الحافظ رشيد الدين العطار (ت 686هـ/1287م)، ذكرت المصادر أنه حرس الحديث بها، وكان شحدنا ثقة، كتب الحديث بخطه،

---

[1] السخاوي، **الضوء اللامع**، ج06، ص107-108.

[2] ابن عبد الظاهر، **الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة**، تحقيق: د.أيمن فؤادسيد، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط01 ،1417هـ/1669م، ص89.

[3] هو عبد الله بن علي بن الحسن بن عبد الخالق الشيبي المالكي مولده(540هـ/1145م) بقرية دميرة من مصر وتوفي (622هـ/1224م)، ابن فرحون، ج01، ص450-451.

كما درس بما أحد أحفاد مؤسس المدرسة، وهو نجم الدين يوسف بن أحمد بن يوسف (ت 710هـ/ 1310م)، حيث قال عنه البرزالي :" ... وكان مدرسا بمدرسة جده بالقاهرة...[1]

ثالثا: المكتبات المالكية في مصر والشام.

عرفت مصر والشام نظام المكتبات[2] – خلال العهد الإسلامي – قبل العصر المملوكي، فقد انتشرت انتشارا واسعا زمن الفاطميين، إذ اهتموا بما اهتماما بالغا، كيف لا وقد كانت وسيلة من وسائل نشر عقيدتهم الشيعية، ونفوذهم السياسي في المشرق الإسلامية، ومن ثم انتشرت المكتبات في القصور والمساجد، وعندما آلت الأمور إلى صلاح الدين الأيوبي، أبطل المذهب الشيعي، وقضى على خزائنهم ومكتباتهم، لتعارض ما تضمنته بعض كتبهم من أفكار مع مذهب الأيوبيين اليه، غير أن ما تبقى من تلك الكتب والمكتبات الفاطمية شكل نواة المكتبات العصر الأيوبي، والتي استمرت زمن تلاميذهم المماليك، لاسيما وقد اشتهر عنهم حبهم للعلم ومجالسة العلماء، كما ذكرنا سابقا، حيث أثر عنهم بناؤهم للمدارس وإعمارها، وألحق بالكثير منها مكتبات، إذ حرص المماليك على توفير المكتبات داخل كل مؤسسة.

فهل اشتملت المساجد والمدارس التي نشط فيها المالكية خلال حقبة الدراسة على مكتبات كذلك؟

للإجابة على هذا التساؤل يمكن أن نصنف مكتبات المالكية إلى ما يلي:

أولا: مكتبات مساجد ومدارس المالكية في مصر والشام خلال العصر المملوكي:

ونفصل فيها كالتالي:

1- مكتبات مساجد المالكية:

سبق أن ذكرنا أن المسجد بدأ منذ ظهوره يؤدي وظيفته التربوية عن طريق ما كان يعقد فيه من حلقات دراسية، فمن الطبيعي أن تودع فيه كتب حتى يمكن أن تتم له هذه الوظيفة ويعتبر هذا النوع من المكتبات أول الأنواع نشوءا في الإسلام، حيث جرت العادة ولا تزال أن يودع بعض وجهاء الناس، بل وعامتهم في المساجد عددا من نسخ القرآن، وعددا آخر م ن الكتب الدينية لفائدة المطالعين من المصلين رواد هذه المساجد، ومن المساجد التي

---

[1] البرازلي، **الوفيات**، ص93-94، ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج06، ص219، الصفدي، **أعيان العصر**، ج05، ص606.

[2] تعتبر المكتبة من أهم روافد المعرفة كما أنها تمثل جزءا هاما من الحياة العلمية، انظر كمحمد علي فهيم بيومي، **دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني (923-1220هـ/1517-1805)**، دار القاهرة، القاهرة، ط2006،01م، ص225.

شهدت نشاطا علميا مالكيا خلال حقبة الدراسة، وكانت بها مكتبات، أحصينا ثلاثة مساجد، اثنان منهما بنيا منذ العهد الفاطمي هما :

1 – 1 – الجامع الأزهر : حيث شهد نشاطا فكريا ومشاركة مالكية خلال حقبة الدراسة، إلا أن المصادر أغفلت ذكر أي خبر عن مكتبته، والتي كانت عامرة بالكتب منذ العصر الفاطمي كما يشير بعض المؤرخين، وكان المشرف عليها يحتل منصبا من أهم المناصب في الدولة الفاطمية[1]، كما نقل إليها المعز لدين الله الفاطمي (341-365هـ/952-975م) الكثير من الكتب، وعددا عظيما من المصاحف، ومن الناس من القراءة والانتفاع بما فيها ، وكذلك أمر الحاكم بأمر الله (386-1411هـ/996-1020م) بنقل الكتب التي كانت بدار العلم إلى مساجد الأزهر والحاكم والمقس، فخص الأزهر منها ما يقرب من النصف، غير أننا لم نعثر على معلومات حول هذه المكتبة خلال العصر الأيوبي، أما في العصر المملوكي، فقد عمل بعض المالكية على إثراء مكتبته، ومنهم الشيخ عيسى بن عبد الرحمن، الزواوي، المغربي، الذي وقف جزءا من كتبه على طلبة العلم بالجامع الأزهر.

2 – 1 – جامع بن طولون : من المؤكد حسب رواية المقريزي أن به مكتبة، حيث يذكر أن الحاكم بأمر الله الفاطمي أنزل إلى هذا الجامع ثمانمائة وأربعة عشر مصحفا[2]، هذا في العهد الفاطمي، كما شهد هو الآخر نشاطا لبعض المالكية به كما مر ذكره، ولكن للأسف لم نعثر – فيما اطلعنا عليه من مصادر – عن أي معلومات حول هذه المكتبة في العصر الأيوبي ولا زمن المماليك، فهل أبقي الأيوبيون ومن بعدهم المماليك على مكتبات هذين الجامعين ؟.

بالنسبة لهذين الجامعين، يمكننا تفسير ما جرى للكتب الموجودة بمما، وهي أن الأيوبين أغلقوهما في البداية، وأدى ذلك إلى إتلاف وتفرق تلك الكتب التي تتعارض مع مذهبهم – خصوصا الجامع الأزهر الذي كان مركزا أساسيا للدعوة الشيعية – وأبقوا على بعض المصاحف والكتب، ومن ثم تصبح نواة لتوسيعها على يد العلماء الذين كان لهم نشاط بهذه المساجد خلال الحقبة الأيوبية ثم المملوكية، ومن بينهم المالكية طبعا، وهذا ما حدث فعلا، حسب المنال الذي أوردناه عن وقف الزواوي.

---

[1] خضر أحمد عطا الله، **الحركة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط01، د، ت، ص169.

[2] المقريزي، **الخطط**، ج03، ص199، يحي مصطفى عليان، **المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1420،01هـ/1999م، ص116.

3 – 1 – الجامع المؤيدي : وقد شهد نشاط بعض المالكية فيه مثلما تقدم ذكره، واحتوى على مكتبة يقول عنها المقريزي:" ثم نزل السلطان في عشري المحرم إلى هذه العمارة ودخل خزانة الكتب التي عملت هناك، قد حمل إليها كتبا كثيرة في أنواع العلوم، كانت بقلعة الجبل، وقدم له ناصر الدين محمد البارزي كاتب السر خمسمائة مجلد، قيمتها ألف دينار، فأقر ذلك بالخزانة وأنعم على ابن البارزي بأن يكون خطيبا، وخازن المكتب هو ومن بعده من ذريته.[1]

. 2– مكتبات المدارس المالكية:

أحصينا بعض المكتبات، منها مكتبة المدرسة مشتركة بين المالكية والشافعية هي المدرسة الفاضلية، حيث أوقف عليها القاضي الفاضل مؤسسها جملة عظيمة من الكتب في سائر العلوم، يقال حسب رواية المقريزي :"أنا مائة ألف مجلد وذهبت كلها، وكان سبب ذهابها أن الطلبة الذين كانوا بما لما وقع الغلاء مصر في سنة أربعة وتسعين وستمائة... صاروا يبيعون كل بلدة برغيف خبز، حق ذهب معظم ما كان فيها من الكتب"، ولخزانة كتب المدرسة الفاضلية فهرس لكتبها رأه القفطي واطلع عليه ، وهذا أمر منطقي، إذ لا يعقل أن نتخيل مكتبة بحجم مكتبة المدرسة الفاضلية التي كانت تضم مائة ألف م جلد يدخلها طالب علم فيبحث بنفسه بين رفوفها وخزائنها عن عنوان يحتاجه لدراسة أو بحث.[2]

المطلب الثاني: الأربطة والزوايا والخوانق.

الأربطة والزوايا والخوانق هي معاهد دينية إسلامية، أنشئت لإيواء المنقطعين للعلم والزهاد والعباد، وكان غرض منشئيها والمتصدقين عليها فعل الخير واكتساب النواب، ولفظ الرباط والزاوية عربيان، فأصل الرباط مكان إقامة الحامية المرابطة عند ثغور العدوة، كما أن الزاوية في الأصل الركن أو المكان عامة وقد كانت هذه العمائر في تلك الفترة تحقق الرعاية الاجتماعية للنساء، فكانت مقاما للأرامل والمطلقات والمسنات، ومحل إقامة وتعبده، ولقيت اهتماما كبيرا وتوسعا في البناء منذ عهد صلاح الدين الأيوبي، ويرى الباحث عدنان محمد فايز الحارثي أن سبب هذا الاهتمام يرجع إلى تزايد الاهتمام بالتصوف وانتشاره في تلك الأثناء، والذي اشتد نشاطه زمن المماليك.

[1] المقريزي، **الخطط**، ج03، ص354.

[2] المقريزي، **الخطط**، ج03، ص458، احمد أحمد بدوي، المرجع السابق، ص 44-45.

بالإضافة إلى الأربطة والزوايا والخوانق، كان هناك أيضا عمارة تسمى التربة"، وكان يقصد بها المقبرة التي يدفن فيها عامة الناس، ثم أصبح لها معنى خاص، راج استعماله في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي وما بعده، ويطلق على البناء الذي يقام على قبور الأكابر والأعيان والعلماء، وهو في العادة قبة كبيرة بداخلها ضريح ولها أوقاف ومرافق متعددة، والهدف منها كما يقول الباحث خالد علال كبير تخليد الذكر وطلب الأجر، لأن أوقافها ومرافقها تعتبر صدقة جارية، وفي كثير منها مساجد ومكتبات، ومكاتب لتعليم الأطفال، وحلق العلمة وبالنسبة للأربطة والزوايا والخوانق والترب المالكية خلال حقبة الدراسة، فقد أحصيناها من خلال ما اطلعنا عليه من مصادر، وسنعرضها كالآتي:

1- **الترب والزوايا والخوانق المالكية في مدينة اخميم** : لم نعثر بها سوى على زاوية فقط من هذه المؤسسات هي زاوية الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد المراغي ثم المصري (ت 811هـ/1408م)، وهو أحد علماء الفقه المالكي، بالإضافة إلى إلمامه بعلوم أخرى، ذكر السخاوي بأن له زاوية في المراغة من أعمال مدينة إخميم[1]، من بلاد الصعيد في مصر من خلال ترجمته أنه كان يدرس بها الفقه المالكي.

2- الترب والأربطة المالكية في الإسكندرية: عثرنا بها على تربتان ورباط واحد، هي:

1 – 2 – تربة وجيه الدين محمد بن منصور: المعروف بابن المنير (ت 656هـ/1257م)، وقد دفن فيها ابنه المالكي ناصر الدين أحمد بن محمد، المعروف كذلك بابن المنير الاسكندري (ت683هـ/1284م)، وكان إماما بارعا في الفقه والأصول، والعربية، وعلوم أخرى كذلك، ولم يذكر أنه قام كا نشاط علمي، فنستنتج أنها مكان للدفن فقط.

2 – 2 – تربة الشيخ أبو البركات: شعبان بن محمد بن عوض السكندري المالكي القادري (ت897هـ/1491م)، وهي بالإسكندرية، ذكرها السخاوي بقوله: "مات ببلده... ودفن بتربته المنفذة لجامع صفوان"، ولم يرد أنما احتضنت نشاطا علميا، بل نفهم بأنها كانت عبارة عن مكان للدفن قبر فيها صاحبها.

3 – 2 – رباط سيدي داود: لم تمتد إلى أي معلومة حوله، سوى أنه أم به الشيخ المالكي علي بن محمد بن محمد السكندري، المعروف بابن يفتح الله (ت 862هـ/1457م)، وكان مقرئان وتخرج عليه غالب قراء الإسكندرية على حد قول السخاوية، ونرجح وجوده بالإسكندرية.

[1] السخاوي، الضوء اللامع، ج09، ص29-30.

3- الزوايا في مدينة الفسطاط : عثرنا بما على زاوية واحدة، هي زاوية الخشابية، وقد كانت من إنشاء صلاح الدين الأيوبي، حيث عمر" بجامع عمرو بن العاص بمصر زاويتين إحداهما للشافعية والأخرى للمالكية، وتعرف الآن بالخشابية"،[1] وبما أنهما في جامع عمرو بن العاص، فإن نشاطها كذلك من نشاط هذا الجامع الذي ذكرناه سابقا.

4- **الترب والزوايا والخوانق المالكية في القاهرة:** وتتمثل في:

1 – 4 – رباط الزاهد ابن حباسة، وقد أم فيه عبد الله بن بكر بن داود المالكي، المعروف بابن الرماح، الذي توفي بالقاهرة سنة 659هـ/1260م،[2] ويمكن أن نرجح وجود هذا الرباط بالقاهرة، لأنه من طلبة الفخر الفارسي الذي كان في مصر حسبما ذكره الذهبيه.

2 – 4 – زاوية المغاربة بالجامع الأزهر، بالقاهرة، درس بها الشيخ الفقيه زين الدين قاسم بن محمد بن إبراهيم المغربي، ثم المصري (ت هـ/1396م)، حيث كانت له فيها حلقة علمية في الفقه المالكي، وكان دينا، صالحا.[3]

المبحث الثالث: جهود العلماء

المطلب الاول: التدريس

من أوسع المجالات التي أسهمت في ازدهار المذهب المالكي ميدان التعليم، وهو المجال الطبيعي الذي تنتشر بوساطته كل العلوم، فنشر العلم وطلبه بابه الواسع هو التلقي عن الشيوخ، ويتأكد هذا الأسلوب في العلوم الشرعية ومنها الفقه- إذ لا غنى لمن يطلبها عن لقاء حملتها، وقد أكد الفقهاء على هذا الأمر حتى أفتوا بمنع من لم يتلق ع ن الشيوخ من التصدي لبث العلم. فقد سئل ابن رشد: «هل تصح المناظرة في الموطأ ممن لم يسمعه على أحد ولا عنده كتب مصححة؟ وكيف لو ناظر فيه بكتاب صحيح ولم يروه هل يجوز أم لا؟

[1] عدنان محمد فايز الحارثي، **عمران القاهرة**، ص122.

[2] الذهبي **تاريخ الإسلام**، ج48، ص388.

[3] ابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شبهة**، ج03، ص638.

فأجاب: لا يجوز لمن لم يعتن بالعلم ولا سمعه، ولا رواه الجلوس التعليم الموطأ ولا غيره من الأمهات ولو كانت مشهورة، ولو قرأها وتفقه على الشيوخ فيها، أو حملها إجازة فقط، جاز أن يعلم م اعنده عن الشيوخ من معانيها، وأن يقرأها إن صحح كتابه على رواية شيخه»[1].

وهذه الشروط هي التي دفعت بطلبة العلم إلى الضرب في الأرض ابتغاء لقاء حملة العلم أن كانوا، وجمعت حولهم جموعا من الدارسين، فانتشر الفقه، وازدهر التدريس، وبرز من بين الفقهاء من أوتي طريقة خاصة في التبليغ، فتخرج على يدهم جيل بعد جيل، وأسهمت عملية التدريس أيضا في إظهار أمهات معينة ومصادر معتمدة في هذا الباب، فنالت شهرة واسعة في كل الآفاق.

ومدارسة العلم عند فقهاء المذهب خصلة حميدة مأثورة عن سلوك مالك نفسه، فلم يكن بعضهم يترك المدارس على مر الأيام، ولعل ذلك آت من كون الفقه الفروعي يحتاج إلى مراجعة مستمرة حتى لا ينسى

، خصوصا لمن يتعامل مع النوازل من فتوى وقضاء... يذكر أصبغ ب ن الفرج أن ابن القاسم – شيخه– أخذ يوما بيده وقال: أنا وأنت في هذا الأمر سواء، فلا تسألني عن المسألة الصعبة بحضرة الناس، ولكن بيني وبينك حتى أنظر وتنظر [2].

ونرصد مجالس أخرى لكبار العلماء يتدارسون ويتناظرون في الفقه فيما بينهم أو في مجالس الأمراء، سعيا لتثبيت هذا الفقه أو نشره.

ففي إفريقية يحكي ابن فرحون أن لقمان بن يوسف قال ليحيى بن عمر – عندما قدم من المشرق–: إن لنا حلقة يجتمع فيها يوم الجمعة أصحابنا، فلو تفضلت وحضرتهم فترى كيف هم؟ فأجابه، وأتي معه إلى القوم، فأكرموه، وجلس معهم، وفي القوم حماس بن مروان ... ومحمد بن بسطام، فأخذ محمد بن بسطام يسأل عن تفسيرات محمد بن عبدوس التي ألفها في الشفعة والقسم وأشباه ذلك، وحماس بن مروان يجيب، وباقي القوم يتكلم كل واحد منهم بما تهيأ له، ويحيى بن عمر ساكت، فلما انقضى مجلسهم وقام يحيى بن عمر، فسأله الرجل الذي جاء به: كيف رأيت – أصلحك الله– أصحابنا؟ فقال : ما تركت في بغداد من يتكلم ف ي الفقه بمثل هذا الكلام»[3].

---

[1] **المعيار**: ج12 ص359.

[2] **المدارك**: ج04، ص20.

[3] تطور المذهب المالكي، **الديباج**: ج01، ص109.

وفي إفريقية أيضا في هذه الفترة كذلك يذكر أبو القاسم اللبيدي أن أبا إسحاق الجبنياني (ت: 369) قال له: أتدرسون في هذا الوقت العلم ؟ قلت: نعم، قال: فتجتمعون للمذاكرة؟ قلت: نعم، قال: لقد كنا نجتمع، ولقد ألقينا المدونة في شهر، ندرس النهار ونلقي الليل، فما علمت أنا نمنا ذلك الشهر».[1]

وجاء في ترجمة أبي سعيد خلف بن عمر القيرواني المتوفى 391هـ أنه كان يجتمع هو وأبوء الأزهر بن معتب وأبو محمد بن أبي زيد وابن شلبون وابن التبان والقابسي... في جامع القيروان للتفقه».

فهؤلاء هم كبار فقهاء إفريقية، لا ينقطعون عن المراجعة والمناظرة، فضلا عن عملهم في التدريس والتبليغ، ولعل هذا التقليد ق د استقر في إفريقية في هذه الفترة التي مثلنا لها بهذه الوقائع.

وفي الأندلس نجد نظيرا لهذا في مجلس المنصور بن أبي عامر مع الفقيه ابن المكوي، قال عياض: كان يتكلم عنده يوم الاثنين في الموطأ وما شاكله، ويوم الثلاثاء في المستخرجة و المدونة وما جانسهما، فكان النبلاء من أصحابه كابن الشقاق وابن دحون يتظاهرون عليه لينشروا حفظه، فإذا جرت المسألة و أمعن فيها القول أهل المجلس، ونقضوا وجوه الجواب، وانتهى القول فيها إلى أبي عمر وترجيحه، بدر كل من أولئك الحفاظ إلى ما يقرب من قولة شاذة، فينصت أبو عمر إلى أقوالهم، ثم يرد على كل واحد فيما أغرب به، وبفصل له أمكنته، وينبه إلى قائله، ويذكر الاختيار من ذلك من قول الأصحاب، كأنما ينظم في صحيفة، ثم يحدد إثر ذلك هو اختياره، فيريهم العجب من كل فعله»[2].

ونخلص إلى ممارسة هؤلاء العملية التدريس لنراهم في مجالسهم الحافلة، ونرى أمثلة منهم تستقطب طلاب العلم من مختلف الآفاق، فاكتسبوا شهرة في التدريس عمت كل الأرجاء، وسلكوا سبلا محمودة في التعليم والتعامل مع طلاب العلم رفعتهم إلى العلياء، ولابد أن ننوه قبل

أن نخلص إلى منهج الفقهاء في هذا- بدور أهل الحديث في نشر أصول هذا العلم، وما أسهموا له في تنوير أهل الغرب الإسلامي بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإشاعة مصنفاته، فكانت لهم بدورهم مجالس حافلة وطلبة فاقوا العد، ويكفي أن نضرب أمثلة ببعضهم، ومن أشهرهم محمد بن وضاح وبقي بن مخلد، قال الحميدي عن ابن وضاح: «حدث بالأندلس مدة طويلة، وانتشر عنه بها علم جم». وقال عياض: وأكثر من شرف ورأس

[1] **المدارك**، ج06، ص226.

[2] المدارك، المرجع السابق، ص 129.

بالأندلس فمن تلاميذه... وبه ويبقي بن مخلد ص ارت الأندلس دار حديث...». ومحمد بن عبد السلام الخشني، «حدث زمنا طويلا، وانتشر علمه»[1].

أما أحمد بن خالد – ابن الجباب – فقد سمع منه عالم كثير» (76)، بينما اتخذ عبد الرحمن بن فطيس – أبو المطرف – طريقة أهل المشرق في الأسماع بوساطة مستمل بين يديه (77).

ونخلص إلى مجالس الفقه والفقهاء، ونحاول استشفاف حالها، وأساليب أهلها في التلقين من خلال بعض ما ورد في وصف هذه المجالس، ونبدأ ببعض ما يتحلى به هؤلاء من حسن تعاهد طلبة العلم، والاهتمام بهم، وخفض الجناح لهم، والعمل على حسن تلقينهم العلم، فذلك من أهم ما يؤلف الطالب، ويحبب إليه الاستمرار في الطلب.

فمن ذلك طاهر بن عبد العزيز الرعيني المتوفي 304هـ، «وكان سامح الناس في كتبه وأباحها لهم، فكثر الناس عليه، وكان طيب الخلق، حلو اللسان... كريم المجالسة، غاية في رقة الأدب، وحسن معاملة الناس، وتقريب التلاميذ، و الرفق بالمبتدئ، والتواضع...»[2].

وكذلك كان حاتم بن محمد، ابن الطرابلسي المتوفي 469هـ، «فلم يزل مثابرا على حمل العلم وبثه، والقعود الإسماعه، والصبر على ذلك، مع كبرة السن وانهداد القوة، أخذ عنه الكبار والصغار لطول سنه».

وكان أحمد بن محمد بن رزق الأموي المتوفي 477هـ ممن رزق حسن التعليم، «فكان مدار طلبة الفقه بقرطبة عليه في المناظرة والمدارسة والتفقه عنده، ونفع الله به كل من أخذ عنه... وكان أكثر الفقهاء حرصا على التعليم، وأنفعهم لطالب فرع...». | ونختم بنمط فريد في هذا المجال. وكان مثالا في التضحية مع ٣٢١ / ٩٢٨ به من علم ووقت ومال. يحكي أحد تلاميذه عن ذلك من قلعة رباح وغيري من المشرق– وكنا نيفا على أربعين تلميذا، فكنا ندخل في داره في شهر نونبر ودجنبر ويناير، في مجلس قد فرش ببسط الصوف مبطنات، والحيطان باللبود من كل حول، ووسائد الصوف، وفي وسطه كانون في طوله قامة الإنسان، مملوء فحما، يأخذ دفئه كل من في المجلس. فإذا فرغ الحديث أمسكهم جميعا، وقدمت الموائد عليها ثرائد بلحوم الخرفان، بالزيت العذب، وأياما رائد اللبن بالسمن والزبد، فنأكل تلك الثرائد حتى نشبع منها، ويقدم بعد ذلك لونا واحدا، ونحن قد روينا من ذلك الطعام، فكنا

[1] انتشار المذهب المالكي، **جذوة المقتبس**، ص118.

[2] **أخبار الفقهاء والمحدثين**، ص61.

ننطلق قرب الظهر –مع قصر النهار – ولا نتعشى حتى تصبح إلى ذلك الطعام، الثلاثة الأشهر، فكان ذلك منه كرما وجودا وفخرا لم يسبقه إليه أحد من الفقهاء.

المطلب الثاني: القضاء.

أهمية خطة القضاء نابعة من كونها تعالج أخطر أمور الناس كالدماء والأموال والمناكحات... ومن كونها تصنف في المرتبة التالية للخلافة، بل القاضي نائب عن الخليفة وشريك له فى سلطانه، وهذا المجال الفسيح يتيح للقاضي معالجة غالبية النوازل والمستجدات، وهو ما يمكنه من التطبيق الفعلي للمذهب، الذي يتبناه، ويكفل لهذا المذهب الحياة والاستمرار.

والملاحظ أيضا توسع اختصاص القاضي في الفقه الإسلامي، فهو لا يتقيد –مثلا– بالاختصاص الزماني، ويتخذ مبادرات دون انتظار رفع القضايا إليه، كما هو الحال في الأمر بالمعروف والنهي ع ن المنكر، وزجر المجاهرين بالمخالفات في الأماكن العامة، فكان القاضي ابن زرب –مثلا– يطلب أصحاب أبن مسرة ويستتيبهم، ويحرق كتبهم ...»[1].

وكان القاضي إذا وجد سكر انا في مكان عام أو مجاهرا بفسق عاقبه ابن حارث مسلك بعض القضاة ف ي التغاضي عن السكارى وتركهم يفلتون من العقاب...»[2]. ومن توسع أعمال القاضي –في الأندلس خاصة أنه غالبا ما يتولى أيضا خطبة الجمعة والصلاة، والخطب في المناسبات الهامة...

فالخلاصة أن القاضي يأتي على رأس نظام الحكم بعد الخليفة أو الملك، خصوصا قاضي الجماعة، فابن سهل حين عدد خطط الحكم جعلها ستا، وصدرها بالقضاء، ثم قال: «وأجلها قضاء الجماعة». ونزلت مرتبة قاضي الجماعة في العصور المتأخرة إلى مادون المفتي، وهذا ما ذكره ابن ناجي «بأن القاضي – قاضي الجماعة– ك ان عندهم أرجح من الفتيا، وليس كذلك في زماننا ...».

ومع سمو هذه الخطة، أو من أجل ذلك، كان التهرب منها تقليدا الكثير من المخبتين، في المشرق والمغرب، و هم في الغرب الإسلامي كثير، قد أحصاهم النباهي في كتابه المرقبة العليا، رغم أن الإمام مالكا أفتى بإجبار من هو أهل للقضاء إذا أباه ولم يوجد غيره[3]. ورغم أن بعض كبار أئمة المذهب تولوا القضاء كالإمام سحنون، وهو

---

[1] **المرقبة العليا**: ص78.

[2] **المرقبة العليا**، المرجع السابق، ص61، تحقيق: محمود مكي.

[3] **تبصرة الحكام لابن فرحون**، بهامش: فتح العلي المالك، الشيخ عليش: ج01، ص 12-13.

القائل: «إذا كان الرجل أهلا لخطة القضاء فاستعفى منها. عوفي منها إن وجدله عوض منه، وإن لم يوجد أجبر عليها، فإن أبى سجن، فإن أبى ضرب.

وكان الأمراء يقاسون مع أمثال هؤلاء، خصوصا إذا كان الأمير يعرف أهمية القاضي، ويقدر قيمة العدل، فيبحث عن قاض عدل ورع، فيصطدم بذلك الورع الذي يزع صاحبه عن مخالطة الناس، بله القضاء في أموالهم ودمائهم، وإذا ظفر أمير بقاض وولاه، فإنه يحمله الأمانة، ويخلص له النصيحة بطلب الحق وتوقيعه، واجتناب الظلم واتقائه، ونحن نورد أمثلة من هذا القبيل.

يذكر ابن القوطية أن الحكم الربضي قام ليلة عن إحدى كرائمه، فساء ظنها به، ثم وجدته يصلي، ثم أعلمته بظنها فقال لها: «كنت قلدت محمد بن بشير القضاء، فكانت نفسي عليه طيبة، وقلبي به واثقا، وكنت مستريحا من أخبار الناس وظلاماتهم بما علمت من عدله وثقته، حتى أعلمت هذه العشية أنه في السياق وأن الموت قد حضره، فقلقت لذلك واغتممت به. وقمت في هذه الليلة أدعو الله، وأبتهل إليه أن يوفق لي رجلا يكون عوضا عنه تسكن إليه نفسي، فأوليه قضاء المسلمين بعده». [1]

١٢٨وكان ابنه عبد الرحمن بن الحكم على هذا المسلك من التحري عن القاضي الاصلح وقد كثر قضاته بسبب ذلك، وبسبب إشارات يحي بن يحي الليثيي عليه، قال ابن حيان: «و إنما كان سبب استكثار عبد الرحمن بن الحكم من القضاة، وكثرة توليته و عزله لهم، اتباعه فيهم رضي كبير المشاورين الأثير عنده: يحي بن يحي، إذ كان لا يزال يشير عليه بقاض، فيوليه الأمير عبد الرحمن مقتصرا فيه على رأيه، فإذا أنكر عليه يحي شيئا رفع عليه إلى الأمير، فلا يؤخر عزله، ولا يحيد عن مشورته، وكان يحيي الذي يولي مكانه...»[2].

وإذا اطمأنت نفس الأمير إلى القاضي المختار فهو يعينه، ويعهد إليه بما ينبغي لمثله، قال ابن حارث: لما استقضى الحكم المستنصر أحمد بن عبد الله بن أبي طالب الأصبحي، أدخله على نفسه، وعهد إليه بما يعهد بمثله أئمة العدل وولاة الحق من إعظام الخطة وصيانتها، وإيثار الحق وإمضائه، وتنفيذ الأمور إذا استبانت، والأناة فيها إذا اشتبهت ووقفه على حدود القضاء وسياسة الأحكام، وما يجب للقاضي وعليه في كل حال قولا وفعلا».

وينقل النباهي أن المنصور الموحدي لما ولي عبد المنعم بن الفرس على قضاء غرناطة، أثبت في صك تعيينه: «أقول لك ما قال موسى عليه السلام لأخيه هارون: اخلفني في قومي، وأصلح، ولا تتبع سبيل المفسدين». وقد

[1] **تاريخ افتتاح الأندلس**: ص 73-74.

[2] **المقتبس**:178، تحقيق: محمود مكي.

كان من القضاة من ضرب مثلا رائعا في القيام بالمهمة وإبراء ٣٢٩ / ٩٢٨ كل الشبهات. ونعرض هنا مثالين: أحدهما لقاض يعلم بمنتحبه قبل تولي القضاء، والثاني لأخر يكشف عن حالة البئيس بعد عزله عن الخطة، والأول هو ابن زرب الذي لما ولي القضاء «احتبس خواص أصحابه المشاورين –وقد جاؤوه يهنئونه، فأمر غلامه، فكشف عن مال عظيم صامت في صندوق له، وقال : يا أصحابنا، قد عرفتم ما امتحن به من تولى القضاء قديما من سوء الظنة، و أخشى أن أطرق الناس على عرضي [1]، وهذا حاصلي ورزقي، هذا من العين، وفي مخازني ما يفي بقيمته، وحظي من التجارة ما عرفتم، فإن فشا من مالي ما يناسب هذه الجملة فلا لوم، وإن تباعد ذلك فقد وجب مقتي، فسلوا الله تخليصي مما نشبت فيه...».

المطلب الثالث: الفتاوى والنوازل

إن غاية درس ازدهار المذهب المالكي في هذا الباب، سواء تناول الكلام عوامل الازدهار أو مظاهره، غاية ذلك كله الوقوف على عطاء هذه العناصر العملي ومدى خدمتها للناس في واقعهم، وهذا العطاء يتجلى في محورين اثنين من خلالهما يتحول الكلام النظري إلى واقع عملي، وهما القضاء والفتوى، فأما القضاء فمن خلاله يفرض على الناس فقه المذهب فيما كان بينهم من نزاعات. ومجاله في الغالب أبواب المعاملات، أما الفتوى فشأنها أعم وأخطر، إذ لا يستغني الفرد عنها في كل أحواله: عقائد وعبادات ومعاملات وسلوكا... فهى، إذا المجال الأكثر خضوبة، والميدان الأوفر إنتاجا وتوليدا لثروة فقهية ظلت تتراكم منذ أحقاب وأزمان.

وإذا كان القضاء يعني في تعريفه العلمي– الإخبار ع ن الحكم الشرعي المصحوب بالإلزام [2]، لما تفرضه السلطة من ضرورة تنفيذ أحكام القاضي، فإن الفتوى تختلف عن القضاء في غياب عنصر الإلزام هذا، إذ هي إخبار عن الحكم الشرعي دون إلزام المستفتي بتنفيذ المفتى به. قال أبو العباس الهلالي: هي الإخبار بحكم الشرع لا على وجه

الإلزام، وزادوا قولهم: لا على وجه الإلزام لإخراج حكم الحاكم عند من يرى أنه إخبار بحكم الشرع على وجه الإلزام.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك مصطلحات أخرى تطلق مرادفة للفتاوى كالنوازل والمسائل والأجوبة، وهي أسماء لمسمى واحد، غير أن النوازل تختص بالحدوث والوقوع، فهي لذلك أخص من الفتاوى التي تشمل سؤال الناس

[1] وأخشى أن أطلق الناس على غرضي: **المرقبة العليا**: ص77،

[2] تبصرة ابن فرحون، **هامش فتح العلي المالك**: ج01، ص12، مع اختلاف في تفضيل التأليف يراجع هناك.

عن الأحكام، سواء حدثت أم لم تحدث. وقد لا يرد هذا الفرق إذا رجعنا إلى المعنى اللغوي لكلمة الفتوى، فهي من الفتاء وهو الحداثة والجدة، وقيل: من الفتي، وهو الشاب الحدث. قال الرازي في تفسير قوله تعالى: {أفتوني في أمري}: معنى أفتوني، أجيبوني في الأمر الفتي، أي الحادث الجديد.

وواضح أن الأمر الحديث إما أن يكون هو نفسه حديثا وجديدا حقيقة، وإما أن يكون حديثا بالنسبة للسائل عنه بالخصوص، ومن هنا يظهر التقارب اللغوي بين مصطلحي الفتوى والنازلة.

ولخطورة هذا المنصب الجليل تولاه الرسول المبلغ بنفسه، أداء للأمانة، وتبليغا للرسالة، ثم خلفه عليه خلفاؤه وورثة علمه من الصحابة العاملين العالمين، ثم التابعون فمن بعدهم من الفقهاء في كل عصر ومصر إلى يوم الدين، قياما منهم بواجب البيان، وتفاديا لإثم الكتمان، وقد استهل الشاطبي مبحث الفتوى بقوله: «المفتي قائم في الأمة مقام النبي صلى الله عليه وسلم».

ثم استخلص بعد كلام قوله: «وعلى الجملة فالمفتي مخبر ع ن الله كالنبي، وموقع للشريعة على أفعال المكلفين بحسب نظره- كالنبي، ونافذ أمره في الأمة بمنشور الخلافة كالنبي، ولذلك سموا أولي الأمر ، وقرنت طاعتهم بطاعة الله ورسوله...» (124).

ومن كان هذا في الناس موقعه، وفي المرابطين في سبيل الله ثغره، الزمه أن يتسلح لحمايته، ويتهيأ لحراسته بعلم غزير، واطلاع واسع، وحفظ ودراية، وصفاء ذهن، و استقامة فهم، ورسوخ ملكة، وإحاطة بروح التشريع، واختلاف الآراء، ومعرفة بتطور الزمان والعادات، وتبدل الأعراف وأنماط الحياة، مع صلاح في الدين وصراحة في الحق، وأمانة في النقل، وصدع بأمر الله في كل شأن».[1]

فالعلم واستمرار البحث العلمي والتقوى و الورع من مستلزمات المتصدي لعلاج أدواء الناس؛ لأن ذلك كفيل بإبعاده عن المداهنة أو الهجوم على ما ليس له به علم، وحمله على التحري و التنقيب مع التدقيق، مستحضرا أعظم المسؤولية، ومشفقا من التبعات الجسام، وهذا كان شأن السلف رضي الله عنهم، والأخبار عنهم في ذلك أكثر م ن أن تستوعب. ويكفي مثالا شاملا لذلك قول ابن أبي ليلى: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما كان منهم محدث إلا ود أن أخاه قد كفاه الحديث، ولا مفت إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا».

[1] فتاوي شرعية للمفتي حسنين مخلوف:12.

ونزيد قول ابن مسعود رضي الله عنه: «من أفتي الناس في كل ما يستفتونه فهو مجنون». وقد خص ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم بابا مستقلا لتدافع الفتوى وذم من سارع إليها.

وعلى هذا النهج سار الإمام مالك، فكان مثال العالم المتحري المحتاط في الفتوى، وقد تواتر عنه هذا السلوك في صور شتى مثل أن يقول: لا أدري، أو يستبطئ مستفتيه أو يمنع من تسجيل وكتابة فتواه، ومن أقواله المحفوظة في هذا المجال:

«ربما وردت على المسألة تمنعني من الطعام والشراب والنوم، فقيل له: يا أبا عبد الله، والله ما كلامك عند الناس إلا نقر في حجز، م ا تقول شيئا إلا تلقوه منك. قال: فمن أحق أن يكون هكذا إلا من كان هكذا!».

وقال: «إني لأفكر في مسألة منذ بضع عشرة سنة، فما اتفق لي فيها رأي إلى الآن ».

وسأله رجل عن مسألة استودعه إياها أهل المغرب فقال: ما أدري، ما ابتلينا بهذه المسألة ببلدنا، ولا سمعنا أحدا من أشياخنا تكلم فيها، ولكن تعود، فلما كان من الغد جاء وقد حمل ثقله على بغلة يقول قال : ما أدري ما هي؟ فقال الرجل : يا أبا عبد الله، تركت خلي س يعود: ليس على وجه الأرض أعلم منك. فقال مالك غير مستوحش-: إذا رجعت فأخبرهم أني لا أحسن».

وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري....والروايات عنه في: «لا أدري»، و «لا أحسن...» كثيرة .

وقال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: ينبغي للعالم أن ي ألف فيما أشكل عليه قول: لا أدري، فإنه عسى أن يهيأ له خبر. قال ابن وهب:

وكنت أسمعه كثيرا ما يقول: لا أدري. وقال في موضع آخر: لو كتبنا عن مالك: لا أدري، لملأنا الألواح[1].

وهذا المنهج المأثور عن إمام المذهب كان مما ورثه تلاميذه، ومما عمل به و أكد عليه كبارهم ممن أحس بخطورة هذه الخطة، فكان من أدب الإفتاء التروي و اجتناب الهجوم على المسائل، و أهم من نمثل به في هذا الشأن من أهل إفريقية سحنون؛ فقد أثر عنه الاقتداء بهدي مالك في هذا، وكان يتمثل بقولة الإمام سفيان بن عيينة: «أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علما، يكون عند الرجل باب واحد من العلم، فيظن أن الحق كله فيه»[2].

---

[1] **جامع بيان العلم**،ج02،ص67.

[2] المقولة نسبها أبوالعرب والمالكي لسحنون،ورودها ابن عبدالبر عن ابن عيينة في :**جامع بيان العلم**،ج02،صص202.

ثم يخبر هو عن سلوكه في ذلك قائلا: «و أنا أحفظ مسائل سماها تبلغ ثمانية أقاويل من ثمانية أئمة، فكيف ينبغي لي أن أعجل بالجواب حتى أتخير، فلم ألام في حبس الجواب ؟» .[1]

وقال أحد أصحابه: سمعت سحنونا يقول وهو يزري على من يعجل بالفتوى وينكر ذلك، ويذكر النهي عن ذلك عن المتقدمين من ٣٣٨ / ٢٨ سأل عن المسألة فأعرفها، وأعرف في أي كتاب هي في ريب ورقة و أي صفحة، وعلى كم هي من سطر، فما يمنعني من الجواب فيها إلا كراهة الجرأة على الفتوى... وأتاه رجل من صطفورة فسأله مسألة، فأقام يتردد إليه ثلاثة أيام، فقال بعد ذلك: مسألتي أصلحك الله، لي ثلاثة أيام، فقال له: وما أصنع بك يا خليلي، مسألتك نازلة، وهي معضلة، وفيها أقاويل، وأنا متحير في ذلك. فقال له الصطفوري: وأنت أصلحك الله لكل معضلة، فقال له سحنون: هيهات يا ابن أخ، ليس بقولك أبذل لك لحمي ودمي للنار، ما أكثر ما لا أعرف، إن صبرت رجوت أن تنقلب بحاجتك، وإن أردت أن تمضي إلى غيري تجاب ف ي ساعة واحدة، فقال له: إنما جئت إليك ولا أستفتي غيرك، فقال: فاصبر عافاك الله.

المطلب الرابع: تنظيم الفتوى

في تاريخ الفقه في الغرب الإسلامي انبني واشتد التلازم بين القضاء والفتوى، وهما في الواقع– وسيلتان لغاية واحدة، وهي حل النوازل الواقعة للناس أو بين الناس، والغاية في النهاية هي تطبيق فقه المذهب على واقع الناس، فكانت الخطتان – إذا– في غاية الخطورة وغاية اهتمام أولي الأمر، وقد انفردت أقطار الغرب الإسلامي خاصة الأندلس بنظام الشورى، بحيث لا يستغني القاضي عن المشاورين، وهم فقهاء مفتون معينون من ولي الأمر، بعد أن يستشير مع غيرهم من الفقهاء في صلاحيتهم لذلك، احتياطا لفتاوى الناس. وكتب تاريخ علماء الغرب الإسلامي حافلة بوقائع لا تنتهي في هذا المجال، وهذا مثال ناصع لذلك: قال أبو الأصبغ بن أبي عبيد: شاورنا أمير المؤمنين الناصر ف ي قاض يوليه، وذكر محمد بن لبابة والحبيب بن زياد، فقلت له: ابن زياد قاض ابن قاض، من بيت قضاء، وقد عرف القضاء وتدرب فيه، ومحمد بن عمر بن لبابة فقيه مفت ثقة مأمون، قد عرف الفتيا ومارسها، ولي اليوم كذا وكذا حكما بين المسلمين، فما أرسلت إليه رجلين يختصمان إلا سارا إليه راضيين وخرجا عنه راضيين، فأرى أن يولي ابن زياد القضاء، ويكون ابن لبابة صاحب الفتوى والشورى، فقبل ذلك، فأتاني الرجلان بعد شاكرين، كل واحد على ما أشرت به فيه»[2].

[1] طبقات أبي العرب:187،**رياض النفوس**:ج01،ص355،**جامع بيان العلم**:ج02،ص202.

[2] المدارك،ج05،ص155،ويراجع **المعيار**،78/10.

وكان أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين «إذا ولي أحدا من قر ٣٥١ / ٩٢٨ بعهد إليه ألا يقطع أمرا ولا يبت حكومة في صغير من الأمور ولا حبير إلا بمحضر أربعة من الفقهاء...»(162).

فكان القاضي لا قيمة لأحكامه ولا له أن يحكم بتاتا إلا بعد أن يستكمل حاشيته وبطانته وهم المشاورون، فصار هؤلاء شرطا لا محيد للقاضي عنه ولا انفكاك. ثم إن المفتي لا سلطة للقاضي عليه، بل هو حر في اجتهاده وإبداء رأيه، وقد تكون سلطة المفتي على القاضي ترد أحيانا إذا كانت لفتواه قيمة لا تسع القاضي مخالفتها...

ومما يؤكد هذا المعنى، وفي الآن نفسه يؤكد على تنظيم الفتوى وحفظها من الفضوليين قول المازري: «إن المفتي إنما يقيمه أهل الحل والربط وهم الفقهاء»[1]. فهم الأعرف من غيرهم بمن يصلح من بينهم لكل منصب، وهم أيضا الأعرف بمن يصلح للقضاء، فاستشارة السلطان لهم لازمة، ولذلك تعقب الشيخ كنون قول المازري بقوله: «وهذا هو الظاهر بل المتعين، لأن الفتوى كالقضاء من المناصب الدينية، فكيف ينتصب لها من شاء؟».

ويعضد هذا أيضا قول البرزلي: «لا يجوز للقاضي إقامته للمفتي بستفتيه، وإنما يقيمه أهل الحل والربط، وهم الفقهاء»، وهذا ما ينبغي، لأن فيه حفاظا على حرية المفتي واستبعادا لنفوذ القاضي عليه.

ولعل هذه المكانة وهذا الدور المنوط بالمفتي أهله لأن يصبح فوق مرتبة القاضي لا العكس، وذلك لعدم محدودية المجال الذي يفتي فيه – بخلاف القاضي الذي إنما يتدخل في المنازعات – ولأن المفتي غير ملزم باستشارة غيره عكس القاضي، وهذه المكانة الجديدة تحدث عنها ابن ناجي في معالم الإيمان، قال: «... إن القاضي -- قاضي الجماعة– ك ان عندهم أرجح من الفتيا (كذا) وليس كذلك في زماننا، وذلك أن القاضي – ولو كان من أدين خلق الله – لابد أن يشتكي به بعض المحكوم عليهم، فلابد من ناظر فوقه ينظر في أموره، وذلك المفتي، فهو الذي يرتهن في قاضي الجماعة، ولا يقدم قاضي الجماعة قاضيا في بلده من عمالته أو شاهدا أو حكما معتبرا إلا بعد مطالعته، فهو القاضي في الحقيقة، وقاضي الجماعة إنما هو كالنائب عنه، ولا يختل هذا النظام إلا إذا كان ق اضي الجماعة قدر المفتي في العلم، ويكون السلطان قدمه لنفسه، ومع هذا فلابد من موافقته له في الأمور المعضلات، وهو من الأمور النادرة، وإلا فالأصل أنه تحته، وهو مظلل عليه كالخباء لا يقطع أمرا دونه».

وتقديم ابن ناجي منصب قضاء الجماعة على الإفتاء عند المتقدمين محل نظر، إذ يعكر عليه ما كان عليه الحال منذ زمن قديم، ومنذ ع هد يحي بن يحي الليثي الذي رفض ولاية القضاء معتذرا للأمير عبد الرحمن ومدافعا

[1] تقييد في الفتوى والشهادة والقضاءالملزمة.

عن موقفه بقوله: «إن المكان الذي أنا فيه أنفع وخير لكم مما تريدون، أنا إذا تظلم الناس من قاض أجلستموني فنظرت لكم في أحكامه، وإذا كنت قاضيا فتظلم مني كما يتظلم من القضاة، من تقصدون ينظر في أحكامي؟ فكفوا عنه».

وقد استفاض عن يحي بن يحي الليثي أن أمراء بني أمية يولون القضاء من يولون أو يعزلون بمجرد إشارته، بل إن المشاورين في هذه الفترة في الأندلس في مكانهم أن ينظروا في أحكام القاضي –ولو ك ان قاضي الجماعة – فيقرونها أو ينقضونها، كما لهم إمكانية عزل القاضي برفع أمره إلى الأمير[1].

وينم كلام الدباغ عن نوع من التغير وقع في هذه المناصب بتغير الأقطار ومرور الأيام واقتضاء المصالح... وذلك ما يفهم أيضا من كلام ابن مرزوق فإنه بعد أن نقل كلاما لابن عبد السلام في شروط القاضي – عقب بقوله: «ومن باب أولى أن يختار للفتوى من هو بهذه الصفة، فإن نظر المفتي أهم من نظر القاضي، ثم الحجة في المسألة ما حرر ابن رشد في أجوبته».

وهذا كله رفع من قدر المفتي وخطة الإفتاء، ولذلك استكثروا عليه في الشروط المطلوبة منه، وقد لا تتوافر كل الشروط فيقتضي الأمر الأخذ بمبدأ الأمثل فالأمثل، ولذلك فالمفتون أيضا طبقات تخضع لقدراتهم العملية والاجتهادية، وهذه النظرية أول من حررها هو ابن رشد الجد، وعلى كلامه كانت إحالة ابن مرزوق الآنفة الذكر، وقد قسم المفتين إلى طوائف ثلاث:

– الطائفة الأولى: اعتقدت صحة مذهب مالك تقليدا بغير دليل، فأخذت نفسها بحفظ مجرد أقواله وأقوال أصحابه في مسائل الفقه دون أن تتفقه في معانيها، فتميز الصحيح منها من السقيم... فلا يصح لها الفتوى بما علمته وحفظته من قول مالك أو قول أحد من أصحابه، إذ لا علم عندها بصحة شيء من ذلك، وإذ لا تصح الفتوى بمجرد التقليد من غير علم، ويصح لها في خاصتها – إن لم تجد من يصح لها أن تستفتيه– أن تقلد مالكا أو غيره من أصحابه فيما حفظته من أقوالهم، وأن تعلم ما حفظته فيها من قول مالك أو قول غيره من أصحابه، في رتبه النازلة أن يقلده فيما حكاه له من قول مالك في نازلته ويقلد مالكا في الأخذ بقوله فيها، وذلك أيضا إذا لم يجد في عصره من يستفتيه في نازلته فيقلده فيها...»[2].

[1] المقتبس:202 تحقيق:محمود مكي.

[2] فتاوي ابن رشد 1500/3–1502.

– الطائفة الثانية: اعتقدت صحة مذهب مالك بما بان لها من صحة أصوله التي بناه عليها، فأخذت نفسها أيضا بحفظ مجرد أقواله وأقوال أصحابه في مسائل الفقه، وتفقهت في معانيها، فعلمت الصحيح منها الجاري على أصوله من السقيم الخارج عنها، إلا أنها لم تبلغ درجة التحقيق بمعرفة قياس الفروع على الأصول...

فيصح لها – إذا استفتيت– أن تفتي بما علمته من قول مالك أو قول غيره من أصحابه إذا كانت قد بانت لها صحته، كما يجوز لها في خاصتها الأخذ بقوله إذا بانت لها صحته، ولا يصح لها أن تفتي بالاجتهاد فيما لا تعلم فيه نصا من قول مالك أو قول غيره من أصحابه، إذ ليست ممن كمل لها آلات الاجتهاد التي يصح لها به قيس الاصول».

– الثالثة: اعتقدت صحة مذهب مالك بما بان لها أيضا من صحة أصوله، فأخذت أنفسها بحفظ مجرد أقواله و أقوال أصحابه في مسائل الفقه، ثم تفقهت في معانيها، فعلمت الصحيح منها الجاري على أصوله من السقيم الخارج عنها، وبلغت درجة التحقيق بمعرفة قياس الفروع على الأصول بكونها عالمة بأحكام القرآن، عارفة بالناسخ منها من المنسوخ، و المفصل من المجمل، والخاص من العام، عالمة بالسنن الواردة في الأحكام، مميزة صحيحها من معلولها، عالمة بأقوال العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من فقهاء الأمصار وما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه

خاتمة

يمكننا القول في الاخير ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع ان بلاد المغرب وبلاد المشرق لعبو دورا كبيرا في نشر المذهب المالكي ودر علماء المغاربة في اجتهادهم و نظرا لما تحمله هذه المنطقة من استراتيجية طبيعية وممتازة في التوسع أكثر للمذهب مماجعلها محل الهدف ، وهذا ما يتجلى في دراستنا حيث اننا قمنا بدراسة هته الفترة خلال العصر المملوكي ، بل تعدى الأمر إلى أكثر من ذلك مما رأينا من مراكز تعليمية من زوايا ومكتبات ومدارس وأربطة وخوانق كانت وسيلة هادفة للنشر وللتوسع أكثر ،ومما سلطنا الضوء على دور علماء المذهب المالكي في المنطقة من خلال أيضا اجتهادهم في الحج والجهاد فكانت بمثابة ضرب عصفورين بحجر ،من دون أن ننسى جهوهم من خلال القضاء والفتوى والتدريس بالاضافة إلى تأليف الكب وتأليف الرجال العامل الأكبر فكانت خير خطة ومنهج للوصول للهدف المنشود.

ومن خلال كل هذا نستخلص التالي:

- أن بلاد المغرب وبلاد المشرق يعتبران منطقتان استراتيجيتان وبؤرة للعلم إذ أنهما مكانين اشتهرا بالعلم من مشارق ومغارب الأرض فكانت المأوى والهدف المنشود لعلماء المغاربة.
- ان المذهب المالكي نبع من شخصية فاضلة "مالك ابن انس" الذي كرس حياته لطلب العلم، واستمد منهجه الأساسي من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة الامر الذي لقي استحسان من قبل اهل المغرب عقب انتشاره، وعلى نفس المنهج استمر اتباعه وانصاره.
- بعض الأسباب التي دفعت العلماء للتوجه نحو المشرق من حج وطلب علم وجهاد وغيرها.
- انتشر المذهب في أماكن كثيرة على غرار مصر والشام والحجاز والعراق.
- نشط علماء وفقهاء المغاربة في مراكز علمية منها: المساجد والمكتبات والأربطة والووايا والخوانق.

جهود علماء المغاربة في نشر المذهب المالكي تمثلت في:

-التدريس –الفتوى –الإجازة-القضاء –التأليف .... بالإضافة إلى الإمامة والخطابة.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر.

1- القرآن الكريم

2- السنة النبوية العطرة.

3- ابن المفتي (حسين بن رجب شاوش): تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها، دراسة وتحقيق: فارس كعوان، بيت الحكمة الجزائر ، ط 1،2009.

4- ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي (ت 367 هـ / 977 م) : صورة الأرض ، (د، ط) ، منشورات دار مكتبة الحياة ، 1996 .

5- ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد الحضرمي (ت 808 هـ/ 1405) : تاريخ ابن خلدون المسمي ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق : سهيل زكار، ج6، 7، (د، ط) ، دار الفكر للطباعة والنشر ،بيروت، لبنان ، 2000 .

6- ابن سيده المرسي ، أبو الحسن علي بن إسماعيل ،المحكم والمحيط الأعظم،تق عبدالحميد هنداوي،ج6،دار الكتب العلمية،بيروت.

7- ابن ميمون (محمد الجزائري) : التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تحقيق وتقديم : محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 2 ،1981.

8- أبي زكرياء (يحي بن ابراهيم السلماسي) (ت 55هـ) :منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ،تحقيق محمود بن عبد الرحمن قدح ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، السعودية ،ط1 ،2002.

9- الاصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي،تق محمد جابر عبدالعال الحيني،الزركلي،ج1،الأعلام.

10- البغدادي (أبو منصور عبد القادر بن طاهر)، الفرق بين الفرق وتبيين الفرقة الضاه منها، تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، مصر، 1988 .

11- البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار الكتب العلمية، بيروت.

12- البكري، المسالك والممالك، ج 1،

13- البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغاراد بن أبي دينار، (أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني)، أخبار إفرقية وتونس، ط1، مركز ودود للمخطوطات.

14- الجيدي عمر، محاضرات في تاريخ المذهب في المغرب الإسلامي، مستوران عكاظ، الرباط، 1987

15- الجيهاني، المسالك والممالك، ينظر:ابن النديم،ج6،دار المعرفة.

16- الخنشي، ابي عبد الله محمد بن الحارث بن اسد الخنشي القيرواني، قضاة قرطبة وعلماء افريقية، صصحه عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1.

17- الدباغ: أبو يزيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ 605-696 هـ)، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، علق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي النتوخي (839 هـ)، دار المنار.، ج3،

18- الذهبي (أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان) (ت 748هـ) مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن، تحقيق وتعليق: محمد زاهد الكوثري، أبو الوفاء الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية بيروت، ط 4،1419.

19- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) (ت هـ) سير أعلام النبلاء ، ج 6 ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، حسين الأسد ، مؤسسة الرسالة بيروت،ط1 ،1990.

20- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج10، تق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م

21- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، سير الاعلام النبلاء، ج8، تق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، 2001م.

22- السيوطي (جلال الدين بن أبي بكر) (ت 911هـ) :تبيض الصحيفة بمناقب الإمام أبي حنيفة ،تحقيق محمود محمد، محمود حسن نصار ،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان ، ط 1 ،1990.

23- السيوطي (جلال الدين بن أبي بكر) (ت 911هـ) :تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك ، تحقيق ، هشام بن محمد حيجر الحسني ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء المغرب، ط 1 ،2010

24- الفكون(عبدالكريم): منشور الهداية في كشف الحال من ادعى العلم والولاية ،تقديم وتحقيق وتعليق :أبوالقاسم سعدالله،دار الغرب الإسلامي،بيروت لبنان،ط1990،1.

25- القاضي النعمان، دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام، تق، اصف بن علي اصفر فيضي، دار المعارف، 1963م.

26- كراتشوفكسي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، المستشرق: أفاريست ليفي، ترجمة: دوقان قرطوط، دار مكتبة الحياة ،بيروت ،1956.

27- لحفناوي (أبي القاسم محمد) :تعريف الخلف برجال السلف ،مطبعة بيرفونتانة الشرقية ، الجزائر 1906.

28- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،القزويني ،ج1،دار صادر،بيروت.

المراجع:

1- ابن عذارى، البيان المغرب في آبار الأندلس والمغرب ،ط3، الدار العربية للكتاب ،تونس.

2- أبو زهرة (محمد) : أبو حنيفة حياته وعصره آراؤه وفقهه ،دار الفكر العربي ، ط 2،1947.،

3- أبو زهرة (محمد) :تاريخ المذاهب الاسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر العربي ، القاهرة.

4- أبو زهرة (محمد) نمالك حياته وعصره آراؤه وفقهه ، دار الفكر العربي ، ط 2،1952.،

5- الجيدي (عمر) مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، الهلال العربية للطباعة والنشر ، الرباط ، المغرب ، ط 1 ،1993.

6- حسن علي حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر الموحدين والمرابطين)،ط1،مكتبة الخانجي بمصر للطباعة والنشر ،1980.

7- حسن محمد: الجغرافيا التاريخية لإفريقيا (من القرن 1إلى القرن 9 هـ) فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات، (د،ط)،دار الكتاب الجديد المتحدة،(د،ت).

8- خطاب محمد شيت: قادة الفتح في بلاد المغرب، ط7، ج1،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،1984.

9- الدقر (عبد الغني) : الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة ،أعلام المسلمين 23،دار القلم ، دمشق ،ط2 ،1998. هشام (يسري العربي) :جغرافية المذاهب الفقهية ،دار البصائر ، القاهرة ، ط 1،2005.

10- رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

11- روابح شهرة، الصراع المذهبي بين المالكية والحنفية في عهد الأغالبة (296 - 184 هـ/799-908م) ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط ، جامعة 8 ماي 1945 قالمة ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم التاريخ تخصص تاريخ وسيط 2017-2018.

12- زغلول سعيد عبد الحميد:تاريخ المغرب العربي (الفاطميون ،بنو زير،الصنهاجيين حتى قيام المرابطين ،(د،ط)،منشآت المعارف الإسكندرية،مصر ،(د،ت).

13- سعد الله (أبو القاسم) : تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830 ، ج 2 ، دارالغرب الاسلامي ،ط1 ، بيروت 1998. 15) سعد الله (أبو القاسم) :رائد التجديد الاسلامي محمد ابن العنابي (ت 1850) ،ط2 ،دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان.

14- سعد الله (أبو القاسم) :تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830 ، ج 1 ،دار الغرب الاسلامي ، ط 1 ، بيروت 1998.

15- سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ،منشأ المعارف الإسكندرية،1990.

16- شفيق محمد: ثلاثة وثلاثون قرنا من تاريخ الأمازيغ،(د،ط)،مكتبة الفكر،طرابلس،1988.

17- شكيب أرسلان: الملل الأندلسية في الأخبار والآثار الأندلسيبة ،ج1،(د،ط)، دار مكتبة الحياة للنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان،(د،ت).

18- الصلابي علي محمد: تاريخ ليبيا الإسلامي والشمالي الإفريقي، ط1،دار البيارق،عمان،1997.

19- عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، المغرب،1993.

20- عمر الجيدي، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي الإسلامي ، الدر البيضاء ،منشورات عكاظ،1987.

21- مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، عمر الجيدي.

22- محاضرات في تاريخ المذهب المالكي، مطبعة المعارف الجديدة، ط،1993م.

23- محمد ابو زهرة، مالك حياته امهاغها، محاضرات في تاريخ المذهب في المغرب الاسلامي، مستوران عكاظ، الرباط، 1987 وعصره و آراؤه الفقهية، ط2، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة

24- محمد ابو زهرة، مالك حياته وعصره ،

25- محمد بن حسين، تطور المذهب المالكي في الغرب الاسلامي حتى نهاية العصر المرابطين، ط1، قصالة للنشر، المحمدية المغرب، 2000م.

26- نجم الدين الهنتاني، المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، تبر الزمان، تونس،2004.

27- ندوة الإمام مالك، طبعة وزارة الأوقاف المغربية.

28- نصير الدين النقيب (أحمد بن محمد) : المذهب الحنفي مراحله وطبقاته ضوابطه ومصطلحاته خصائصه ومؤلفاته ، سلسلة رسائل جامعية (90) ، مكتبة الرشد، الرياض ، ط 1 ،2001.

29- وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء : المذاهب الفقهية الأربعة أئمتها أطوارها أصولها آثارها ،راجعه :أحمد الحجي الكردي وآخرون ، ط 1 ،2010.

الفهرس

العناوين	الصفحة
الإهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ-ج
الفصل التمهيدي: بلاد المشرق وبلاد المغرب	1
مقدمة الفصل التمهيدي	2
المبحث الأول: بلاد المشرق	3
المطلب الأول: بلاد المشرق الإسلامي	3
المطلب الثاني: أبرز أقاليم البلاد	4
المطلب الثالث: الموقع الجغرافي	7
المبحث الثاني :بلاد المغرب	9
المطلب الأول: جغرافية بلاد المغرب	9
المطلب الثاني: أصل السكان	12
الفصل الأول: المذهب المالكي وانتشاره في بلاد المغرب	13
المبحث الأول: سيرة الامام مالك	14
المطلب الأول : الإمام مالك ومراحل تطور مذهبه.	14
المطلب الثاني نشأته وصفاته.	15
المطلب الثالث: أشهر شيوخه و تلاميذه.	17
المبحث الثاني : أطوار المذهب ومراحله التاريخية.	18
المطلب الأول :مرحلة النشوء والتكوين	18
المطلب الثاني : أصول المذهب المالكي وحدوده الجغرافية.	19
المطلب الثالث: أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي .	22
المبحث الثالث: أسباب توجه العلماء.	24
المطلب الاول: الاهتمام بالتدريس والتأليف.	24
المطلب الاول: الاهتمام بالتدريس والتأليف.	25
المطلب الثاني: الدعوة إلى الجهاد.	26

الفصل الثاني: دور علماء المغاربة في نشر المذهب المالكي	29
المبحث الأول : أهم فقهاء المالكية في بلاد المغرب .	30
المطلب الأول: أهم الفقهاء.	30
المطلب الثاني: أهم المشائخ في البلاد:	34
المبحث الثاني : أهم المراكز العلمية التي نشط بها العلماء وجهودهم.	35
المطلب الأول: المساجد والمدارس والمكتبات.	35
المطلب الثاني: الأربطة والزوايا والخوانق	43
المبحث الثالث : جهود العلماء	45
المطلب الاول: التدريس	45
المطلب الثاني: القضاء	48
المطلب الثالث: الفتاوى والنوازل	51
المطلب الرابع: تنظيم الفتوى	54
خاتمة	58
المصادر والمراجع	